

معالم إسلامية المعرفة عند أ. د. جعفر شيخ إدريس

الباحث / ضاري عثمان الزهاميل*

(*) معيد عضو بعثة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الكويت - باحث دكتوراه بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

ملخص البحث :

الإسلام منهج حياة، عبارة تتردد كثيراً، ولكن كيف يكون منهجاً وقائداً لنا في العلوم الطبيعية والإنسانية؟ وكيف نستفيد من العلوم الغربية من غير الإخلال بالعقيدة الإسلامية وثوابت الدين؟ هذه هي الإشكالية التي يتطرق لها الباحث من منظور أ. د. جعفر شيخ إدريس؛ وذلك لكونه أحد الأوائل الذين تحدثوا عن هذه الإشكالية ووضع الحلول لها من خلال نظرية إسلامية المعرفة، وهو الجانب الذي بذل فيه جهداً واضحاً في التنظير والتطبيق. فيهدف الباحث إلى التركيز على نظرية إسلامية المعرفة، فيقوم بتعريفها، ومعرفة مصادرها ووسائلها، وكيفية تطبيقها، ثم الحديث عن الحضارة الغربية: مكوناتها وإطارها، مقارنةً له بالإطار الإسلامي، وذلك كله من وجهة نظر أ. د. جعفر إدريس، ثم يتطرق لردوده على الشبهات المثارة حول هذه النظرية، ووقفاته في تصحيح المسار. وفي الأخير يشير إلى نماذج متنوعة من جهوده. وسيسلك الباحث المنهج الاستقرائي في تتبع ما كتبه أ. د. جعفر إدريس باللغة العربية، والمنهج التحليلي في التعامل مع هذه الكتابات ودراستها. وكان من أهم نتائج هذا البحث: أن إسلامية المعرفة ليست خاصة بالدين الإسلامي، أو بأحوال المسلمين الراهنة، أو بتاريخهم، فهي لا تقتصر على المجتمعات الإسلامية، بل تشمل المجتمع الإنساني كله، بما في ذلك المجتمعات الغربية. وأن مصادر المعرفة اثنان: الوحي والكون، أو الشرع والخلق، وهما مصدران متوافقان غير متناقضين، يصدق أحدهما الآخر ولا يكذبه، أما وسائل المعرفة، فهي: الحس والعقل. وأن خطأ الفكر الغربي في أنه يحصر مصادر المعرفة في الكون. فلذلك أصبح العلم عنده مخالفاً للدين. ويوصي الباحث بعمل مقارنات بين وجهة نظر أ. د. جعفر شيخ إدريس حول إسلامية المعرفة، وغيره ممن لهم جهود في هذا الميدان للتوصل إلى أوجه التشابه والاختلاف في المنطلقات والتطبيقات.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد:

في هذه الورقات المعدودة أبحث في نتاج أ. د. جعفر شيخ إدريس، كونه أحد الأوائل الذين تحدثوا عن إسلامية المعرفة^(١)، فأغوص في بحر علمه، وأجول في بساطين فوائده، محاولاً استخراج معالم إسلامية المعرفة عنده، والمفاهيم المتعلقة بها، مشيراً إلى جهوده في هذا الميدان.

والمشكلة التي يتطرق لها البحث - في الحقيقة - هي ما لخصه أ. د. جعفر إدريس نفسه في مطلع إحدى مقالاته قائلاً: «كثيراً ما نردد القول: بأن الإسلام منهج حياة متكامل، وهو قول صحيح، لكننا قلما نهتدي بهذا الدين في شؤون حياتنا كلها، ولا سيما ما كان منها متعلقاً بالحياة الاجتماعية والسياسية. إننا كثيراً ما نتصرف في هذا الجانب من حياتنا وكأن الإسلام لا قول له فيها ولا هدي، بل كثيراً ما نقندي فيه بما هو شائع في عصرنا من فكر، ولا سيما الفكر الغربي. ولو أننا اهتدينا في هذا المجال بهدي ربنا وعددناه أمراً لازماً لنا باعتبارنا مسلمين، لتجنبنا كثيراً من المشكلات،

(١) يقول محمد وقيع الله: «لعل أكثر المراقبين لهذا الضرب من النشاط العلمي الذي يأخذ عنوان إسلامية المعرفة أو أسلمتها أو تأصيلها في إطار التصور الإسلامي للعلم والفكر لا يعرفون أن هذا المشروع بدأ - على الأقل في صيغته التنفيذية الإجرائية - بمبادرة من فكر البروفيسور جعفر شيخ إدريس. وأن مشروع المعهد العالمي للفكر الإسلامي في واشنطن قد تأسس اهتداءً بفكره وتوجيهه المبكر». وقيع الله، محمد. (٤٣٥/٥١/٢٠١٤م). مفهوم إسلامية العلوم لدى الشيخ جعفر شيخ إدريس، مجلة الرابطة، العدد (٥٧٠)، مكة المكرمة. وقد اطلع الباحث على هذه المقالة في نهاية كتابته للبحث، وهي في خمس ورقات، وهي إضاءة وبادرة جيدة في دراسة فكر أ. د. جعفر إدريس حول إسلامية المعرفة، وجاء هذا البحث ليتم المراد بشيء من التفصيل والتوسع. مع التنبيه إلى أن هناك شخصيات أخرى لها جهود واضحة في مجال: إسلامية المعرفة؛ منهم: إسماعيل الفاروقي، وطه جابر العلواني، وعبدالحاميد أبو سليمان، وعماد الدين خليل، وغيرهم. إلا أن هذا البحث مخصص لمعرفة وجهة نظر أ. د. جعفر شيخ إدريس حول إسلامية المعرفة، كونه أحد الأوائل الذين تحدثوا عنها، بالإضافة إلى تمييزه بعدم مخالفته لأصول أهل السنة والجماعة في تعاطيه مع هذه النظرية.

ولكانت حياتنا أحسن وأسعد.»^(١).

هذه المشكلة هي التي يحرص الغرب على استمرارها في المجتمعات الإسلامية، وهو الأمر الإستراتيجي الذي يهدفون إليه للحيلولة دون نهوض الأمة، ومن ثم التمكين لها ولحضارتها الإسلامية. وقد ذكر أ. د. جعفر إدريس أن الغرب يحرص على أمرين اثنين، هما: ضمان عدم رجوع الأمة إلى فهم صحيح للقرآن، وضمن استمرارها ضعيفة أسيرة للغرب. واعتبر أ. د. جعفر هذين الأمرين هما اللازمين للتمكين، وأسماهما: الكتاب الهادي والسيف الناصر. وأشار إلى تفتن الغرب لذلك، فإن: «.. أول ما فعله المستعمرون إقصاء العلم الشرعي عن المدارس والجامعات، وحصره في دوائر ضيقة روعي أن لا يكون لها علاقة بالمجتمع ولا بالعصر.»^(٢).

كما يعتقد أ. د. جعفر إدريس أن المسلمين ما زالوا قادرين على العودة إلى الكتاب الهادي، وامتلاك السيف الناصر.^(٣) ولذلك كانت إسلامية المعرفة محاولة للرجوع بالأمة إلى الفهم الصحيح للقرآن الكريم، والاستفادة من العلوم التي تفوق بها الغرب للتقوي بها دون التأثر بمفاسدها ومساوئها، وبذلك يمكن تحقيق الشرطين السابقين، فتستعيد الأمة عزتها، وتسترجع قيادتها للعالم التي استمرت لقرون، فتنعم البشرية بحضارتها.^(٤)

وقد أحسن أ. د. جعفر إدريس حين أشار إلى أن تطور العالم وكونه بمثابة قرية واحدة فيه دلالة على صدق النبوة المحمدية، وأن الذي أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا للناس كافة لا لقومه خاصة هو: الخالق سبحانه وتعالى؛ لعلمه بأن

(١) جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا المجموعة الثانية (الرياض: مجلة البيان، ط ١، ٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م)، ص ٩٦.

(٢) جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث إسلامي، (الرياض: مجلة البيان، ط ١، ٤٣٣ هـ)، ص ٤٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٨. وقد ذكر عدة أسباب ينطلق منها في اعتقاده هذا.

(٤) يقول المستشرق اليهودي برنارد لويس: «ظل الإسلام لقرون طويلة أعظم حضارة على وجه الأرض وأغنى حضارة، وأقواها، وأكثرها إبداعاً في كل حقل ذي بال من حقول الجهد البشري.» نقلاً عن: جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ٤٦.

العالم سيصبح كقرية واحدة، ولذلك جعله خاتم النبيين وجعله مرسلًا للناس كافة، بخلاف الرسل قبله الذين كانوا يرسلون إلى أقوامهم، أما الآن: فأصبحت البلاد كلها بمثابة البلد الواحد، فلا يحتاج إلى تعدد المرسلين، ولا إلى رسول بعد الرسول الذي تعم دعوته شعوب العالم أجمعين. إذن فالتطور العلمي الكبير في وسائل الاتصال ليس مجرد أمر دنيوي بالنسبة للمسلم، وإنما هو أمر يتصل بصميم عقيدته؛ لأن فيه دليلاً يضاف إلى الأدلة المشيرة إلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم.^(١)

إن ما قاله وأشار إليه هو بحد ذاته أسلمة للمعرفة، وتأسيس إسلامي لذلك التطور، وهو نموذج تطبيقي للأسلمة. ولكن للأسف من بني جلدتنا من يرفض ذلك ويطالب بالتقليد الأعمى للغرب، فيكون أحد أدواته في مجتمعاتنا.

يقدر أ. د. جعفر إدريس أنه: «إذا صح أن الفكر الغربي يغزونا، فصحيح أيضاً أن أقوى أدواته لغزونا هم أناس من بني جلدتنا، إنهم حكامنا وإداريونا ومدرسوننا وكتابنا ومحرمو صحفنا وإعلاميوننا، بل وضباطنا وأطباؤنا ومهندسوننا وسائر أفراد الطبقة القائدة في بلادنا إلا من رحم ربك، وقليل ما هم.»^(٢)

وقد جلى لنا أ. د. جعفر إدريس حقيقة الأزمة والمشكلة حين تحدث عن الذين يحاولون تقليد الغرب في كل شيء زاعمين أنهم بذلك ينهضون بالأمة إلى الحضارة والتقدم، فيأخذون كل ما عند الغرب بـعجره وبـجره، - ويا ليتهم كذلك لأفادونا شيئاً، وإنما هم يأخذون السيئ، ويتركون الحسن -، يقول أ. د. جعفر واصفاً لحالهم: «فكان مثلهم كمثل رجل سبقه آخر في مباراة الجري، فقال: لكي أكون عداء مثله فلا بد أن اتخذ قميصاً كقميصه وتبانا كتبانه شكلاً ولونا وحجماً.

لا تستغربوا ما أقول فأنا أصور واقعاً ولا أرسم (كركتيراً)»^(٣)، ثم استشهد

(١) انظر: جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا (المجموعة الأولى)، (الرياض: مجلة البيان، ط ١، ٤٢٢ هـ/٢٠٠٢ م)، ص ٤٨؛ جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ٢٠.

(٢) جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ١٥٥.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥٧، ص ٢٣٠. وانظر: جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا، (الرياض: مجلة البيان، ط ١، ٤٣٥ هـ)، ص ٦٣٥-٦٣٦.

باعتراف الأديب زكي نجيب محمود أنه كان يعتقد أن الحضارة وحدة لا تتجزأ؛ فإما أن نقبلها بكل ما فيها من محاسن ومساوئ، أو نرفضها كلها، ولا حل وسط -عنده- في ذلك. والحل الوسط هو: أسلمة العلوم.

وقد اتخذ الباحث المنهج التحليلي في بحثه، فاستقرأ كتابات أ. د. جعفر شيخ إدريس التي باللغة العربية، المطبوعة أو المنشورة على موقعه في الإنترنت^(١). وبعد البحث والتنقيب في نتاجه ذلك ارتأيت أن تكون خطة البحث كالتالي:

المقدمة: وذكرت فيها الموضوع، وخطة البحث.

المبحث الأول: التعريف بالشيخ جعفر إدريس، وبنظرية إسلامية المعرفة بشكل مختصر:

المطلب الأول: التعريف بالشيخ جعفر إدريس.

المطلب الثاني: التعريف بنظرية إسلامية المعرفة بشكل مختصر.

المبحث الثاني: إسلامية المعرفة: تعريفها، ومصادرها ووسائلها، وكيفية تطبيقها. وقسمته إلى:

المطلب الأول: التعريف.

المطلب الثاني: المصادر والوسائل.

المطلب الثالث: كيفية التطبيق.

المبحث الثالث: الإطار الغربي، والإطار الإسلامي. وقد قسمته إلى:

(١) تم استقراء كتبه التالية: الفيزياء ووجود الخالق، صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث إسلامي، نظرات في منهج العمل الإسلامي، مناهج التفكير الموصلة للحقائق الشرعية والكونية، مناهج العلوم الإنسانية ومشكلاتها، الإسلام لعصرنا (المجموعة الأولى)، الإسلام لعصرنا المجموعة الثانية، الإسلام لعصرنا (وهو الإصدار الأخير الذي ضم جميع ما سبقه بالإضافة لمقالات جديدة. وأنه هنا إلى أن الإصدار الأول والأخير كلاهما بنفس الاسم: «الإسلام لعصرنا»، ولذلك ميّزت الأول بإضافة: «المجموعة الأولى» بين قوسين، وأبقيت الإصدار الأخير على اسمه: الإسلام لعصرنا.)، وموقعه على الإنترنت: www.jaafaridris.com

المطلب الأول: الحضارة الغربية، المكونات والإطار.

المطلب الثاني: الإطار الإسلامي التوحيدي وصلاحيته.

المبحث الرابع: الرد على الشبهات المثارة حول إسلامية المعرفة، وتصحيح المسار.
وقسمته إلى:

المطلب الأول: في مجال رد الشبهات.

المطلب الثاني: في مجال تصحيح المسار.

المبحث الخامس: جهوده في إسلامية المعرفة.

الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج.

والله أسأل الإعانة والتسديد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: التعريف بالشيخ جعفر إدريس، وبنظرة إسلامية المعرفة بشكل مختصر.

المطلب الأول: التعريف بالشيخ جعفر إدريس^(١).

هو جعفر شيخ إدريس محمد صالح بابكر عبدالرحمن بلل. ولد عام ١٩٣١م بمدينة بور سودان شرق السودان. في سن الحادية عشر تقريباً انضم إلى جماعة أنصار السنة الناشئة. مع مواصلته للدراسة النظامية في المرحلة المتوسطة في المدرسة لم ينقطع عن دروس العلم الشرعي على بعض الشيوخ بمنطقة بور سودان، فدرس عليهم الأربعين النووية وبعض كتب المذهب المالكي، وبعض كتب النحو، وكان يحضر مع والده دروس الشيخ أبو طاهر بالمسجد الكبير ببور سودان فسمع عليه قدراً كبيراً من الصحاح ولا سيما صحيح البخاري، كما درس عليه بعض مختصرات أخرى في الحديث والبلاغة والآداب. ودرس - أيضاً - على بعض العلماء الشناقطة الذين كانوا يمرون على مدينة بور سودان في طريقهم إلى الحج.

التحق بمدرسة حنتوب في سنة ١٩٥٠م وهي حينذاك إحدى ثلاث مدارس ثانوية بالسودان، وكان لا يُقبل فيها إلا المتفوقون في الدراسة. وفي المدرسة انضم إلى حركة إسلامية ناشئة هي حركة التحرير الإسلامي التي صارت فيما بعد جماعة الإخوان المسلمين. وفي ذلك الوقت لم تكن الحركة على صلة تنظيمية بحركة الإخوان المصرية. ولكنها كانت تتابع أدبياتها وتقرأ لقاداتها. وكان جعفر شيخ إدريس عضواً نشطاً في الحركة يقيم المحاضرات ويُلقى الدروس.

حصل على درجة البكالوريوس مع مرتبة الشرف من جامعة الخرطوم في تخصص الفلسفة، وتخصص ثانوي اقتصاد. (١٩٦١م). ثم عُين معيداً بالجامعة وسجل لدراسة الماجستير، لكن الجامعة ابتعثته في العام التالي للدراسة بجامعة لندن.

حصل على درجة الدكتوراه من جامعة الخرطوم في تخصص فلسفة العلوم عام

(١) مستفاد من موقع أ.د. جعفر شيخ إدريس على الإنترنت: www.jaafaridris.com

١٩٧٠م، وكانت الدراسة الفعلية في جامعة لندن وذلك حسب الاتفاقية بين الجامعتين في ذلك الوقت.

عمل ودرّس في قسم الفلسفة بجامعة الخرطوم، وفي السعودية في عدة أماكن، منها: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حيث تنقل فيها بين أقسام مختلفة: مركز البحوث، وقسم الدعوة بكلية الدعوة والإعلام، وقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين. كما درّس طلاب الدراسات العليا بالجامعة، وأشرف على الكثير من رسائل الماجستير والدكتوراه.

أسس الجامعة الأمريكية المفتوحة مع بعض الناشطين. عمل وما زال يعمل مستشاراً لعدد من المؤسسات والهيئات الإسلامية في أنحاء العالم.

ألقي دروساً ومحاضرات وشارك في ندوات ومؤتمرات في كثير من الجامعات والمراكز الإسلامية والمساجد ومراكز البحوث في كثير من بلدان العالم، في أفريقيا وآسيا وأوروبا وأستراليا وأمريكا الشمالية ودول الكاريبي وأمريكا اللاتينية، وشارك في كثير من البرامج التلفازية والإذاعية في عدد من الدول، بالإضافة إلى عدد قيم من البحوث باللغتين العربية والإنجليزية، لعل من أهمها: بحوثه في «الرد على أوام المادية الجدلية». وهو أوّل من كتب في موضوع أسلمة العلوم، حيث كتب رسالتين صغيرتين حول الموضوع تُعدُّ أساساً لكل من كتب بعده. كما له بحوث في الرد على الفكر الغربي والمذاهب المعاصرة. وله بحوث عن التنظيمات الإسلامية المعاصرة.

تميز أ. د. جعفر شيخ إدريس بأنه صاحب حجة قوية في الكتابة والنقاش. وتتميز أكثر كتابات الشيخ جعفر بالإجمال ووضع القواعد العامة، ولذا جاءت جُلّها في شكل رسائل صغيرة أو بحوث. وكل رسالة منها من الممكن أن تكون كتاباً أو مشروعاً لعدة كتب. كما اهتدى وأسلم على يديه الكثير بعد توفيق الله سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني: التعريف بنظرية إسلامية المعرفة بشكل مختصر.

ليس مقصود الباحث التعريف المفصل بإسلامية المعرفة، وتاريخها،

ودعاتها، ومقارنة أقوالهم، والتعرض لجهودهم، ونحوه. خصوصاً وأن حدود صفحات البحث لا تسمح بذلك أيضاً. إلا أن المقصود من البحث هو التعرف وبالتفصيل على وجهة نظر أحد البارزين والأوائل الذين تميزوا في تعاطيهم مع نظرية إسلامية المعرفة، ألا وهو: أ. د. جعفر شيخ إدريس، إلا أنه ينبغي التعريف أو الإشارة ولو بشيء من الاختصار إلى هذه النظرية.

إسلامية المعرفة هي: «ممارسة النشاط المعرفي كشفاً وتجميعاً وتركيباً وتوصيلاً ونشراً؛ من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان»^(١). وبعبارة أخرى يمكن وصف الفكرة بأنها: «المذهب القائل بوجود علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية، والرافض لجعل الواقع والوجود وحده المصدر الوحيد للعلم الإنساني والمعرفة الإنسانية. هي المذهب الذي يقيم المعرفة على ساقين اثنتين: الوحي وعلومه، والكون وعلومه، وليس على ساق واحدة هي الوجود»^(٢).

أما عن نشأتها^(٣): فبعض الباحثين يُرجع إسلامية المعرفة إلى عهد النبي إبراهيم عليه السلام باعتباره يمثل الجانب الفكري من الإسلام الذي بدأ بأبي الأنبياء واكتمل على يد خاتم الأنبياء ﷺ. ويرى باحث آخر أنها نشأت بظهور الإسلام؛ لأنه وإن كان هذا الشعار (إسلامية المعرفة) جديداً إلا أن مضمونه ليس بجديد؛ حيث إن إسلامية المعرفة مهمة فكرية ورسالة ثقافية عرفت حاضارتنا منذ ظهور الإسلام، وأول كتاب عرض لهذه القضية هو القرآن الكريم.

إلا أن هذا الاتجاه المعاصر الذي يرفع شعار: (إسلامية المعرفة) ظهرت بوادره الأولى

(١) عماد الدين خليل، مدخل إلى إسلامية المعرفة، (دمشق - بيروت: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ٤٢٧/٥١٠٦/٢٠٠٦م)، ص ٩.

(٢) عمارة، محمد. (١٩٩٢م). إسلامية المعرفة البديل الفكري للمعرفة المادية، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٦٣)، لبنان. نقلاً عن: إسماعيل الفاروقي، إسلامية المعرفة: المبادئ العامة - خطة العمل - الإنجازات، (بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ٤٢١/٥١٠١/٢٠٠١م)، ص ٧. وسيأتي التفصيل حول مفهوم إسلامية المعرفة من منظور أ. د. جعفر شيخ إدريس في المبحث التالي.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ١١-٢٥.

في القرن التاسع عشر الميلادي، بعد تعرف المسلمين على العلوم الغربية الحديثة، وسقوط بلاد المسلمين تحت وطأة الاحتلال الغربي المسمى بالاستعمار. ثم تطورت هذه البوادر إلى تأسيس: «جمعية العلماء الاجتماعيين المسلمين» من قبل اتحاد الطلبة المسلمين في أمريكا وكندا سنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م. وقررت هذه الجمعية أن مشكلة الأمة تعود إلى أزمة فكرية، فلا بد من إصلاح الفكر أولاً.

ثم بعد ذلك بخمس سنوات انعقدت: «الندوة العالمية الأولى للفكر الإسلامي» في لوجانو بسويسرا سنة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م. وتمخض عن ذلك إنشاء مؤسسة علمية لدراسة هذه الأزمة الفكرية ووضع الحلول لها، وهي: «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م. وتلاه بعام واحد انعقاد «ندوة إسلامية المعرفة» في إسلام آباد بباكستان، وأثمرت هذه الندوة الاتفاق على خطة عمل حررها وكتبها باللغة الإنجليزية د. إسماعيل الفاروقي تحت عنوان: «أسلمة المعرفة»، وترجمتها للعربية مجلة المسلم المعاصر. وبعده بأربعة أعوام نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي كتاب: «إسلامية المعرفة: المبادئ - خطة العمل - الإنجازات» وذلك في سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، وقد أعدته باللغة الإنجليزية د. إسماعيل الفاروقي، وحرر طبعته العربية المعدلة د. عبدالحميد أبو سليمان. واعتُبر هذا الكتاب منذ ذلك الحين خطة ودليلاً لمشروع إسلامية المعرفة. وهكذا استمرت الكتابات والجهود المتنوعة في هذا الميدان، والتي هي من مشارب مختلفة، ومن تلك الجهود المستمرة التي يرنو الباحث إلى دراستها: جهود أ. د. جعفر شيخ إدريس، والذي سيتم في المباحث التالية التطرق إلى إسلامية المعرفة من وجهة نظره.

المبحث الثاني: إسلامية المعرفة: تعريفها، ومصادرها ووسائلها، وكيفية تطبيقها.

المطلب الأول: التعريف.

لم ينص أ. د. جعفر إدريس في عباراته على تعريف لإسلامية المعرفة، ولكنه يقول في معرض حديثه عنها ما يمكن اعتباره تعريفاً لإسلامية المعرفة، إذ يقول: «هو

أن توضع الحقائق كلها الطبيعية والاجتماعية والنفسية في إطار إيماني بدلاً من الإطار المادي الإلحادي الذي توضع فيه الآن، والذي يؤدي إلى جعل الدين -بالضرورة- أمراً مخالفاً للعلم الطبيعي»^(١).

ومن الممكن: استنباط تعريفه لإسلامية المعرفة من خلال شرحه لما هو حاصل من تغريب في مجتمعاتنا الإسلامية، حيث يقول: «إن الافتتان بالحضارة الغربية في تصوراتها الاعتقادية وأحكامها التشريعية وقيمها الخلقية ومظاهرها الذوقية لم ينتج عنه مواقف سياسية موالية للغرب فقط، وإنما نتج عنه محاولة لإعادة صياغة المجتمعات الإسلامية كلها في قوالب غربية، في تركيبها الاجتماعي، ونظمها القانونية، وأوضاعها الاقتصادية، وبرامجها التعليمية ووسائلها الإعلامية على اعتقاد بأن هذه الصياغة شرط ضروري لنهضة الأمم الإسلامية وتحويلها من مرحلة التخلف والرجعية إلى مرحلة التقدم والمعاصرة»^(٢).

فمن فقرته هذه يمكن صياغة تعريف لإسلامية المعرفة، كالتالي: هي محاولة إعادة صياغة المجتمعات كلها في قوالب إسلامية في تركيبها الاجتماعي، ونظمها القانونية، وأوضاعها الاقتصادية، وبرامجها التعليمية ووسائلها الإعلامية، مع الاعتقاد بأن هذه الصياغة شرط ضروري لنهضة الأمة الإسلامية وتحويلها من مرحلة التخلف والرجعية إلى مرحلة التقدم والمعاصرة.

لم يذكر الباحث في التعريف: (إعادة صياغة المجتمعات الإسلامية)؛ لأنه هو الموافق لرأي أ. د. جعفر إدريس إذ يقول: «من الخطأ: أن ينظر إلى إسلامية العلوم على أنها علوم خاصة بالدين الإسلامي، أو بأحوال المسلمين الراهنة، أو بتاريخهم، فهذا خطأ... لأنه يسلم بصحة النظرة النسبية^(٣)، فكأنه يقول للغربيين أن نظرياتكم

(١) جعفر شيخ إدريس، خبط عشواء.. أم تقدير حكيم؟، مقالة على موقعه في الإنترنت.

(٢) جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ١٧٣. مع التنبيه إلى أنهم أخذوا من الحضارة الغربية القشور والمظاهر، وتركوا اللب النافع.

(٣) وقد نقض أ. د. جعفر إدريس هذه النظرية كما سيتبين لنا في مبحث جهوده.

في العلوم الإنسانية صالحة لمجتمعاتكم ونظرياتنا صالحة لمجتمعاتنا... إن عالم الاجتماع الغربي يُعدُّ (القوانين) التي توصل إليها قوانين للمجتمعات الإنسانية أياً كانت، ونحن كذلك نريد أن نضع أنفسنا في الإطار الإسلامي ونحن نبحث في علوم الفيزياء والكيمياء وسائر العلوم الطبيعية، وأن نضعها في هذا الإطار ونحن نبحث في علم النفس الإنساني، وعلم الاجتماع الإنساني، وعلم الاقتصاد الإنساني، وعلم التاريخ الإنساني، لا نفوس المسلمين ومجتمعات المسلمين واقتصادهم وتاريخهم فحسب»^(١).

ففهم أ. د. جعفر إدريس أن الميدان لا يقتصر على المجتمع المسلم، بل كافة المجتمعات الإنسانية يجب أن تُدرس من خلال الإطار الإسلامي، كما أن علماء الغرب يدرسون مجتمعاتنا وفق إطارهم غير الإسلامي.

وينطلق أ. د. جعفر إدريس في تركيزه على الإطار الإسلامي من أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، فهو غير مقيد بمجتمع دون آخر، بل هو صالح لكل من أراد الهداية من كافة الأفراد والمجتمعات، وقد بين سبب صلاحيته في مقالة له بعنوان: (الإسلام لعصرنا .. لماذا؟ وكيف؟)، يقول: «والسر في هذا: أنه تنزيلٌ من حكيمٍ عليم، علم ما هو صالح لعباده بما هم به بشر، لا بما هم به أهل هذا العصر أو ذاك، ولا بما هم به عرب أو عجم، أو أصحاب زراعة أو صناعة، أو في شرق الأرض أو غربها، أو غير ذلك من الاختلافات التي لا تؤثر في بشريتهم، فأنزل عليهم كتاباً غير مقيد بشيءٍ من هذا كله»^(٢).

المطلب الثاني: المصادر والوسائل.

ويعني الباحث بالمصادر: مصادر العلم والمعرفة، مصادر الحقيقة. وقد عبّر أ. د. جعفر إدريس عن جوهر إسلامية المعرفة قائلاً: «هو أن لا يُقتصر في

(١) جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير الموصلة للحقائق الشرعية والكونية (الرياض: مجلة البيان، ط ١، ١٣٧٤هـ)، ص ١٧٦.

(٢) جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا (المجموعة الأولى)، ص ١١.

معرفة الحقائق في أي علم من العلوم على المصدر الكوني، بل يضاف إليه ما أوحاه الله تعالى من كتاب وسنة»^(١).

إذن حدد لنا مصدرين، هما: الكون، والوحي. وهذا ما يسميه بعض دعاة إسلامية المعرفة بالقراءتين: قراءة الوحي، وقراءة الكون^(٢). وقد أشار في مقالته: (الإنصاف في معاملة غير المسلمين) إلى أن «أول معلم يهدينا إليه كتاب ربنا هو أن معاملتنا لغيرنا يجب أن تؤسس على الحقائق، حقائق الدين المتلوة، وحقائق الواقع المشاهد»^(٣).

وأشار أ. د. جعفر إلى تميز الحضارة الإسلامية عن غيرها، بوجود مصدر الوحي الذي تنفرد به عن غيرها من الحضارات، كونه الوحي الخاتم الخالي من التحريف، فهو مصدر الهداية، يقول: «إن الناس يهتدون بما عندهم من علم وبما وهبهم الله من عقل. لكن المسلمين يهتدون إلى جانب ذلك بما حباهم الله تعالى به من هداية القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٥٩]. وهداية القرآن ليست هداية دينية بالمعنى المحدود الشائع في عصرنا لهذه الكلمة. إنها هداية تشمل كل ما يحتاج إليه الناس - أفراداً وجماعات - في أمورهم الروحية والجسدية، في حياتهم الدنيوية والأخروية»^(٤).

بخلاف الحضارة الغربية والفكر الغربي الذي أصابه الخلل في مصادره، وذلك بتخليه عن أحد المصدرين، يقول أ. د. جعفر: «لكن غلبة الفكر الغربي الذي صار

(١) جعفر شيخ إدريس، خلق الله.. وشرع الله، مقالة على موقعه في الإنترنت. وانظر: جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ١٨٥؛ جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا، ص ٥٤٧.

(٢) والعلامة عبدالرحمن بن محمد الدوسري قد سبق في الإشارة إلى القراءتين. انظر: الدوسري، عبد الرحمن بن محمد، صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم (الرياض: دار المغني للنشر والتوزيع، ط ١، ٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م)، ج ٤، ص ٤٧٥؛ ج ٢، ص ٥٠٣؛ الزهايميل، ضاري بن عثمان. (٤٢٧ هـ/ ٢٠١٦ م). منهج الشيخ عبدالرحمن الدوسري في مواجهة الماسونية، ص ١١٢-١١٤. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، قسم أصول الدين ومقارنة الأديان، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

(٣) جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا المجموعة الثانية، ص ١١.

(٤) جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ٢٦. ثم ذكر أ. د. جعفر نماذج من الحقائق الاجتماعية التي جاءت بها هداية القرآن.

منذ القرن الثامن عشر الميلادي فكراً شبه إلحادي، حصرت مصادر المعرفة في الكون وحده، وصارت كل إشارة في مصدر (غيره) أمراً غير علمي؛ وبهذا عرّف العلم تعريفاً جعله - حتى من حيث المبدأ - مخالفاً بالضرورة للدين حقاً كان أو باطلاً،^(١). فأصبح الفكر الغربي أعورَ في مصادره المعرفية. «فإنّما كان الملحدون الماديون يحصرون مصادر المعرفة في الكون وحده؛ فإننا نؤمن بأن للمعرفة مصدرين هما: خلق الله وكلام الله تعالى»،^(٢).

كما أكد على عدم تناقض المصدرين في مقالته التي بعنوان: (خلق الله .. وشرع الله) وذلك من عدة أوجه بيّنها، ثم قال في آخر المقالة: «معارفنا البشرية تتلقى من مصدرين لا ثالث لهما هما: (وحي الله، وخلق الله) وهما مصدران يصدّق بعضهما بعضاً؛ فلا تجد في كتاب الله ما يخالف واقعاً خلقه الله، ولا تجد في ما خلقه ما يكذب كلاماً ذكره الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣)»^(٣). وقال في موضع آخر: «وقد رأينا كيف أن حركة الإعجاز العلمي قد أثبتت توافق الحقائق الكونية مع الحقائق الشرعية»،^(٤).

وسبب ذلك أن مصدرهما واحد وهو الله جل وعلا، ولو أمعنت النظر وتدبرت في بعض آيات سورة الأعراف، لتبين لك أن الله عز وجل قد ذكر شرعه فقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف ٥٢)، فالشرع لم يأت عن جهل، ولا ضلال أو ظلمات، ولا تعنتا وتشديدا على البشر، بل فصله الله عن علم وهدى ورحمة، ثم قال سبحانه بعدها بآية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ

(١) ما بين المعكوفتين زيادة لتتسق العبارة، ولعلها سقطت من الناسخ أثناء نقل المقالة إلى الإنترنت.

(٢) جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ٣٧.

(٣) جعفر شيخ إدريس، خلق الله .. وشرع الله، مقالة على موقعه في الإنترنت. وانظر: جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ٦٠؛ جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ٤٤، ٦٤-٦٦، ٧٩-٨١.

(٤) جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ٣٧.

النَّهَارَ يَطْلُبُهُ، حَيْثَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّهِ ﴿ ففى الآيه الأولى أشار إلى الشرع، وفى الثانية أشار إلى الخلق، وختم هذه الآيه بقوله: ﴿.. أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف ٥٣). فتبارك الذى خلق وشرع، فهو رب العالمين. (١)

أما الوسائل، فقد أشار إليها أ. د. جعفر إدريس فى موضع آخر وهو يقرر توافق المصدرين وعدم تناقضهما، فيقول: «نعترف بكل ما يأتينا عن طريق الحس وبكل ما يقوم عليه دليل عقلي، وبكل ما يثبت نقله. وبذلك لدينا مصدران للمعرفة هما: الكون المحسوس، والوحي الذى أتانا به الله سبحانه وتعالى. فكل ما يثبت من ناحية نقلية هو حق، وكل ما يثبت من ناحية حسية وعقلية فهو أيضا حق. وما يثبت من المصدرين لا يحتاج إلى ما يؤيده من المصدر الآخر، ولكن إن وُجد فلا بأس» (٢). فالمنهج العلمى قائم على الحس والعقل، وهما وسيلتا المعرفة، والشرع أو النقل قد أقر بالمنهج العلمى القائم عليهما، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل: ٧٨). قال أ. د. جعفر: ”هذا معناه أن الحس والعقل هما الوسيلتان اللتان يكتسب بهما الإنسان العلم، سواء أكان عالما دينيا أم كان عالما دنيويا.“ (٣). وأضاف فى موطن آخر وسيلة ثالثة مركبة من الوسيلتين، فقال: ”.. ونضيف إليهما ما تتركب منهما، فتكون الطرق

(١) وقد تطرق ابن تيمية لمصدرى المعرفة: الخلق والأمر، وأشار إلى توافقهما وعدم تعارضهما وذلك فى عدة مواضع. انظر: عبدالله بن نافع الدعجاني، منهج ابن تيمية المعرفى، (المملكة العربية السعودية - الخبر: مركز تكوين للدراسات والأبحاث، ط ١، ٤٣٥هـ / ٢٠١٤م) ص ٦٦٧-٦٧٢.

(٢) جعفر شيخ إدريس، مناهج العلوم الإنسانية ومشكلاتها، ص ١٧. وهى تفرغ لمحاضرة ألقىت فى إطار الموسم الثقافى بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. ويظهر أن هذه المحاضرة هى الأصل لمقالته التى بعنوان: (إسلامية العلوم وموضوعيتها) والتى نشرها فى ديسمبر ١٩٨٧م فى مجلة المسلم المعاصر، وقد أضاف فى هذه المقالة وأعاد الصياغة واستفاد من المداخلات فى تلك المحاضرة. وبعد طباعة كتابه الأخير: (مناهج التفكير) تم تفرغ هذه المحاضرة على شكل مقالة بعنوان: (مشكلة الموضوعية فى العلوم). انظر: جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ١٣٩.

(٣) جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ١٣٥.

ثلاثة: حس وعقل وشيء مركب من الحس والعقل.^(١) والوسائل الحسية كما أشار أ. د. جعفر^(٢) مذكورة في القرآن وقد تكرر منها: السمع والبصر لأنهما أهم الحواس، وإلا فالحواس الأخرى ذكرت أيضا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الأنعام: ٧)، فهذه حاسة اللمس، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفِئِدُونِ﴾ (يوسف: ٩٤)، وهذه حاسة الشم، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَئُهُمَا﴾ (الأعراف: ٢٢)، وهذه حاسة الذوق. فكل الحواس إذن مذكورة في القرآن.

فوسائل المعرفة - كما بينها أ. د. جعفر-، ثلاثة: الحس والعقل وما تركب منهما. أما مصادر المعرفة: فهي: الوحي والكون، ولا تناقض بينهما لأنهما من مشكاة واحدة. وقد حذر من الخلط بين الوسائل والمصادر. كما تكلم بإسهاب وتفصيل في إثبات التوافق بين المصدرين في مقالة له بعنوان: (حقائق العلوم التجريبية حقائق شرعية)^(٣).

المطلب الثالث: كيفية التطبيق.

كيف نحدث التغيير في المجتمع ونطبق إسلامية المعرفة؟ يتحدث أ. د. جعفر إدريس في لفظة منه رائعة عن كيفية إحداث التغيير في المجتمعات، فيقرر أن الفرد في مجتمعه يدفع ثمن مسابرة لهم في الأفكار والعادات والمظاهر؛ لأن الشذوذ عنهم يجعل المجتمع يقسو عليه، فلا بد من موافقتهم. وتكمن المشكلة فيما إذا سيطرت على المجتمع عقائد باطلة أو أفكار خاطئة أو عادات ضارة، فهنا يبدأ امتحان الفرد في المتابعة

(١) جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ٢٤٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٣) انظر: جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا (المجموعة الأولى)، ص ٥٦-٦٢؛ جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ٢٤٩-٢٥٢.

من عدمها، ”.. فالكثر من الناس تخشى المفارقة والتميز، وترضى بالمتابعة وإن تبين لها الخطأ، والقلة من الرجال والنساء التي تمتاز بقوة العزيمة والشجاعة وحب الحق هي وحدها التي تصمد وتقوى على التميز والمفارقة، وإذا ما تميزت وفارقت تبعها غيرها ممن هو أقل منها جرأة، وتبع هؤلاء غيرهم وهكذا إلى أن يحدث في المجتمع - إن حدث - تيار جديد لا يلبث أن يكون هو الاتجاه الاجتماعي المقبول.“^(١). وهؤلاء هم الغرباء القابضون على الجمر، وقد عدّهم أ.د. جعفر إدريس الخطوة الأولى في مواجهة الحضارة الغربية وإعادة الأمة الإسلامية للقيادة من جديد، أما بقية الخطوات، فألخصها من قوله كالتالي^(٢):

أولاً: الحكم بالإسلام، ومن أهم عناصره: الاستقلال وعدم التبعية للدول الكبرى، والحرية السياسية، والعدل الاجتماعي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود ”كفا للمعتدين واستدرار الرحمة رب العالمين“^(٣).

ثانياً: تغيير العلوم إسلامياً، ويتحقق ذلك من خلال:

أ- تنقيتها من شوائب التصورات المادية الإلحادية، والتي تمثل إطارها الفلسفي.

ب- أطراح كافة النظريات التي لم يثبتها واقع، والتي تخالف حقائق الإسلام، ولا مانع من دراستها للنقد.

ج- إزالة الإطار الفلسفي الإلحادي ليحل محله الإطار التوحيدي.

د- عدُّ الوحي مصدراً من مصادر الحقيقة، ومن ثم إدخال كل ما أثبتته القرآن وصحيح السنة في مضمون العلوم، كل حقيقة بحسب العلم المناسب لها.

(١) جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ١٧٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧٩-١٨٣. بتصرف.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨٠.

هـ- السعي نحو الأصالة في كل ما نعالج من مشاكل وما نعطي من أولويات.
و- صياغة العلوم كلها طبيعياً وإنسانياً بلغة عربية فصيحة، حتى تكون اللغة العربية لغة العلوم، كما هي لغة الدين والأدب.

ثالثاً: دراسة الغرب، تاريخه، وواقعه، مستقبله، وتجاربه، من وجهة نظر إسلامية. وقد كرر أ. د. جعفر النقل في أكثر من موضع عن الشيخ المفسر السعودي قوله: ”إن معرفة أحوال الكفار من أعظم أبواب الجهاد“^(١). فلا بد أن يكون لنا مختصون بشؤون الغرب يعالجون قضاياها على أساس إسلامي.

رابعاً: الاستفادة من الحضارة الغربية، ويمكن أن نجمل كيفية الاستفادة منها بالتالي:

١- ما نأخذه من الحضارة الغربية هو:

أ- المنهج العلمي (بعد تنقيته من الشوائب الإلحادية).

ب- الحقائق الجزئية التي كشفتها العلوم، ومعرفتها لا تنفك عن معرفة العلوم التي أدت إليها.

ج- ما بُني على هذه العلوم من تقنية في صورة آلات ومهارات وما أدت إليه من تصنيع.

٢- نحتاج إلى الاستفادة من تجربة الحضارة الغربية في مجالات الحياة المعاصرة كافة: التعليمية، والإعلامية، والاقتصادية، والعسكرية، وغيرها، بشرط أن نكيف ما نأخذه مع إطارنا الإسلامي، لا أن نغير هذا الإطار الإسلامي بالنقل الحرفي

(١) جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا (المجموعة الأولى)، ص ١٤٩؛ جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ٢٣. وانظر: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، (المملكة العربية السعودية - عنيزة: مركز صالح بن صالح الثقافي، د. ط. ١٤١١/٥/١٩٩٠م)، ج ١٣، ص ١٦٩، ١٧٦، ١٩٥.

عن الحضارة الغربية، كما هو حادث الآن في العالم الإسلامي .

٣- بعض العلوم: كالفلسفات والآداب والفنون ونحوها، لا علاقة لها بما سبق من العلوم، ولكن يرى أ. د. جعفر إدريس أن لا نقطع صلتنا بها قطعاً كلياً، بل يُقتصر في دراستها على المختصين، باعتبارها واقعا ينبغي معرفته والاستفادة منه. وفي الحقيقة يرى الباحث أنه لو أمكن السيطرة على ذلك فنعم، وخُشي فقدان السيطرة ولوجها على جماهير المسلمين فتركها كلياً أولى.

٤- خلال الاستفادة من الحضارة الغربية يجب علينا الحذر من أشد أسلحتها الفكرية خطراً وتدميراً، وهو التصور: الإلحادي للوجود الذي كاد أن يصبح سمة العصر.

يقول أ. د. جعفر: ” وهو أكبر تحد يواجه الدعوة الإسلامية والمفكرين الإسلاميين، فإذا نجحنا في التصدي له بالنقد العقلي العلمي المستنير، وإذا استطعنا أن نقدم تصورنا الإيماني بديلاً لهذا الإطار الإلحادي وأقمنا الحجج العلمية والشواهد الواقعية على أنه الإطار المناسب للمنهج العلمي ولحقائق العلوم الطبيعية والبشرية وللثقافة الإنسانية وبالتالي للحياة السعيدة نكون قد أسدينا خدمة كبيرة ليس لأمتنا الإسلامية فحسب، ولكن للمجتمع الإنساني كله، وذلك أن هذا المجتمع يقترب من الدمار كلما ساد فيه فساد التصور الذي يؤدي إلى فساد السلوك، وكلما خاب فيه نور الرسالة المحمدية.“^(١).

كما نبّه أ. د. جعفر إلى أن هذا العمل يحتاج إلى يقين بما نقدمه من تصور إيماني مقابل التصور الإلحادي، وإلى صبر في مواجهة هذا التحدي المتمثل في التصور الإلحادي، مهما سقط المنهزمون لطول الطريق.

وقد وضع أ. د. جعفر إدريس ما يمكن أن يسميه الباحث (خارطة الطريق لإسلامية المعرفة)، فقد بحث عن الأسباب الحقيقية التي جعلت الغرب يصل إلى هذا التطور والتقدم المادي، لتستفيد منها الأمة الإسلامية، وقد أعرض عن الأحوال التي

(١) جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ١٨٢.

صاحبت هذا التقدم وليس لها علاقة به، والتي يزينها بعض الناس لنا لننشغل بها عن الأسباب الحقيقية، وقد توصل بعد دراسة تلك الأسباب إلى ما يمكن إجماله بالتالي^(١):

١- أن نأخذ بكل الأسباب التي تجعل بعض أبنائنا علماء كباراً في مجالات العلوم الطبيعية.

٢- أن نعمل على توطين هذه العلوم في بلادنا؛ لكي لا نظل دائماً تابعين للعلماء والمؤسسات الغربية.

٣- أن نهتم بالنابعين من أبنائنا وبناتنا، وأن نهيبهم لهم كل الظروف التي تساعد على تكريس جهودهم لما نبغوا فيه من هذه العلوم.

٤- أن يكون هذا الجهد عملاً عربياً ثم إسلامياً مشتركاً، وقد علل ذلك بأن تكون لغة هذه العلوم عندنا هي اللغة العربية الفصيحة.

٥- أن نهتم بالنابعين من أبنائنا وبناتنا في مجالات العلوم الإسلامية والعربية؛ وذلك لأننا نسعى للتطور بوصفنا أمة مسلمة. وأن يكون من هؤلاء من يختص بالعلوم المختلفة من علم الاجتماع والنفس والإعلام والاقتصاد والفلسفة وغيرها. حتى تكون هذه العلوم في إطار إسلامي لا إطار إلحادي كما هي الحال في العلوم الغربية، فإن أ. د. جعفر إدريس يرى أنه لا تتحقق أسلمة العلوم إلا باشتراك الثقافة بين الفريقين؛ أي: أن يكون لعلماء العلوم الطبيعية من أبنائنا وبناتنا إلمام بالثقافة الإسلامية، وأن يكون للمختصين بالعلوم الإسلامية إلمام بالثقافة العلمية الطبيعية حتى يتمكن الفريقان من فهم بعضهم بعضاً.^(٢)

٦- هذا الجهد لا يؤدي ثماره كاملة ويجعل منا أمة متقدمة ديناً وخلقاً وعلماً وتقنياً واقتصادياً إلا إذا كان جهداً مشتركاً لا أمراً يقوم به كل قطر مستقلاً عن الأقطار

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٧٣-٧٥.

(٢) انظر: جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ٢٥٢-٢٥٣؛ جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا، ص ٦١٠.

الأخرى.

ولذلك يقول: ”والذي أراه: أنه قد آن الأوان أن نبدأ - من حيث الفكر على الأقل - في الدعوة إلى اجتماع نكون مستعدين في التخلي عن مقتضيات الدولة القطرية الوطنية، يجب أن نقتنع بأن هذا أمر لازم لنا إذا كنا نريد أن نكون أمة قوية مستقلة مهابة.“^(١).

فتلك الخطوات أشبه بالخطة العامة لتطبيق إسلامية المعرفة، وهذه الخارطة أشبه بالخطوات التفصيلية لبداية الانطلاق في مسيرة إسلامية المعرفة، وقد عبّر عن جزء من خارطته هذه في موضع آخر فقال: ”لقد آن الأوان لأن نبذل جهوداً كبيرة في اكتساب العلوم الطبيعية المرتبطة بالتقنية والمساعدة على اكتساب القوة الاقتصادية والعسكرية، ويجب أن تكون هذه الجهود على مستويين: مستوى شعبي عام ينشر مبادئ هذه العلوم بين الناس ويجعلها جزءاً من ثقافتهم الشعبية، ومستوى تخصصي تتعاون فيه الدول العربية على الأقل، حتى يكون لنا علماء مبرزون مكتشفون ومخترعون ومنظرون في كل المجالات المرتبطة بالتقدم التقني.“^(٢).

المبحث الثالث: الإطار الغربي، والإطار الإسلامي.

المطلب الأول: الحضارة الغربية: المكونات والإطار.

معرفة مكونات الحضارة الغربية هي: خطوة أولى لتنتقيتها مما يخالف ديننا، ولذلك فصّل لنا أ. د. جعفر إدريس الحضارة الغربية لنعرف ما هي مكونات هذه الحضارة، فيقول^(٣): إن الحضارة الغربية تتكون على وجه الإجمال مما يلي:

أولاً: حقائق رياضية أو طبيعية أو اجتماعية أو نفسية تثبت صحتها بالتجربة

الحسية أو البرهان العقلي.

(١) المرجع السابق، ص ٧٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥٢.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥٧-١٥٨. بتصرف.

ثانياً: نظريات علمية عن الطبيعة أو الإنسان فرداً وجماعة، وهي ثلاثة أنواع:

أ- نوع نجح في تفسير كثير من الظواهر، ولم نجد ما يدل على بطلانه وإن كنا لا نقطع بصحته.

ب- نوع ما زال في طور التجربة.

ج- نوع ثبت بطلانه.

ثالثاً: تقنية تكاد تشمل كل جوانب الحياة أدى إليها تطور العلوم الطبيعية والرياضية.

رابعاً: مهارات تقنية وإدارية على تلك العلوم.

خامساً: تصورات دينية أو فلسفية للوجود ومكانة الإنسان فيه وللقيم الخلقية والجمالية ولعلاقة الفرد بالمجتمع.

سادساً: أوضاع سياسية واقتصادية وعلاقات اجتماعية وعادات وتقاليدها تسوغها تلك التصورات.

هذه هي مكونات الحضارة الغربية، أما إطارها الذي تنطلق منه، فيقرر أولاً أن هناك إطاراً عاماً يحدد للإنسان تصورات، وداخل هذا الإطار أطر قد تختلف فيما بينها. هذا الإطار العام الذي يصطلح عليه بفلسفة الإنسان في الحياة: هو الذي يحدد "اعتقاد الناس لما هو موجود، وما ليس بموجود، ثم يتحدد تبعاً لهذا مفهومهم للعلم والمنهج العلمي والتفسير العلمي وما إلى ذلك من مفهومات أساسية. فالعلم هو العلم بنوع الموجودات التي حددها الإطار، والمنهج العلمي هو المنهج الذي يوصلنا إلى معرفة هذا النوع من الموجودات، والتفسير العلمي هو الذي يعدّ ما يحدث لبعض هذه الموجودات أثراً لموجودات أخرى من نوعها. وعليه فكل كلام عن موجودات غير التي حددها الإطار فهو كلام غير علمي، وكل ما يدّعى أنه حق فلا بد أن يأتي عن طريق هذا المنهج العلمي، وإلا فهو دعوى بغير دليل، وكل تفسير لظاهرة من الظواهر

التي حددها الإطار بسبب خارج عن نطاق الموجودات التي اعترف بها فهو تفسير غير علمي.^(١) ”حتى صار هذا التفسير الإلحادي جزءاً من مفهوم العلم“^(٢).

وهذا الإطار العام الشائع لدى الغربيين هو كما يقول أ. د. جعفر إدريس^(٣):

أ- إطار فلسفي لا ديني، فحواه أن الكون ليس محتاجاً لسبب خارجي، ولا تؤثر عليه قوى روحية، أو إرادة إلهية.^(٤)

ب- هو إطار معادٍ للدين.

ج- هو ليس إطاراً إلحادياً فقط، بل مادياً أيضاً، لأن الإنسان يمكن أن يكون ملحداً دون أن يكون مادياً؛ فالمادى هو الذي لا ينكر وجود الخالق فقط، وإنما ينكر أيضاً حتى وجود النفس البشرية ويعترف بالجسد المادى فقط.

وليدلّل أ. د. جعفر على ما ذكره من إلحادية هذا الإطار وماديته وعدائه للدين

ضرب مثالين:

الأول: دارون، حيث يقول أحد فلاسفة العلوم: إن دارون كان يبحث عن عملية طبيعية صرفة، لا يتضمن نموذجها تدخل القدرة الإلهية. أي أنه منذ البداية جاء ليفسر الحقائق التي شاهدها تفسيراً لا دينياً.

الثاني: دوركايم، حيث يقول أحد فلاسفة العلوم أيضاً: إنه فسّر الظاهرة الدينية وأرجعها إلى فكرة التضامن مع النظام الاجتماعي. وهذا مبني على حجة

(١) جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ١٦١-١٦٢. كما أشار- أيضاً- إلى هذا الإطار في مقدمة كتابه: جعفر شيخ إدريس، الفيزياء ووجود الخالق، (الرياض: مجلة البيان، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) ص ١١-١٢.

(٢) جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ١٤٨.

(٣) جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ١٦٥-١٦٨. باختصار وتصرف. وانظر: جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ١٥٨-١٦٠.

(٤) انظر: جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ٢٤٥.

الإحادية، فحواها أن الأشياء التي يذكرها المنتمون إلى دين ما، يجب ألا تؤخذ على أنها أخبار عن الله؛ لأنه من حيث المبدأ لا يمكن أن يكون هناك أخبار كهذه، فلا بد من تفسيرها بتفسير آخر. وهنا فسرها دوركايم: أنها تعبير عن الإخلاص للنظام الاجتماعي. ثم استشهد بكلام الغربيين أنفسهم في إرجاعهم لبعض النظريات التي ظهرت لأصولها أو أطرها الفلسفية.

يقول أ. د. جعفر إدريس: ”هذه الفلسفة الإلحادية تمثل إطار الفكر الغربي كله، بما في ذلك الحقائق العلمية، فحتى هذه توضع داخل هذا الإطار، ومن ثم ينظر إليها من خلاله، وتفسر تفسيراً يتناسب معه، ولا يستنتج منها إلا النتائج التي توافقه، إن كثيراً من الناس يعتقدون أن الحقائق الجزئية المشهودة هي وحدها المهمة، وأن لها الغلبة على التصورات الفلسفية، ولكن الحقيقة أن الإطار التصوري الخاطيء يؤثر على نظرة الإنسان إلى الحقائق الجزئية، ويحجب عنه مدلولاتها الحقيقية.“^(١).

وفي سياق تأكيده لتأثير الإطار - أي إطار - على المكونات المختلفة داخله، استدل أ. د. جعفر إدريس بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمِطِرَتْ مَطَرِ السَّوِّءِ أَفَكُمَّ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ (الفرقان: ٤٠)، فقال: ”أفلم يكونوا يرونها؟ بل كانوا يرونها، وكيف لا يرى الإنسان بلداً كاملاً وهو يمر عليه زاهبا وآيباً؟ ولكنهم لم يستنتجوا من رؤيتهم لها العبرة التي ينبغي أن تُستخلص لأن تصورهم المنكر للبعث يمنعهم من هذا الاستنتاج، ويقف بهم عند حدود الظواهر. ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ (الروم: ٧).“^(٢).

وينبه أ. د. جعفر إدريس إلى مشكلة مهمة - في نظري -، وأساسية لدى الغربيين، وقد أدت إلى موقفهم شبه العدائي من الدين^(٣)، وهي أنهم يفترضون أن كل ما ينطبق على دينهم النصراني المحرف فهو ينطبق على الأديان الأخرى، وهذا غلط

(١) جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ١٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٠.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ١١٥.

منهم وتخليط، - وللأسف أن يتبعهم على ذلك ويردد صدى تلك الأقوال أناس من أبناء جلدتنا^(١) -، وعليه فإن التطور العلمي الذي أدى إلى ضعف الإيمان بالنصرانية، ليس بالضرورة أن يؤدي إلى ضعف الإيمان بالإسلام، بل الأمر على العكس من ذلك، فالمتوقع أن هذا التطور العلمي يؤدي إلى الإيمان بالإسلام الذي لا يتناقض مع مقتضيات العقل، ولا يخالف الحقائق العلمية. يقول أ. د. جعفر إدريس - وهو مفعم بروح الأمل والتفاؤل واليقين - : ” فلماذا لا يكون الرجوع إلى القيم اللازمة للمجتمعات عن طريق هذا الدين الذي لا يجد الشخص المعاصر مشكلة في الإيمان بحقائقه؟ هذا الذي نتوقع أن يحدث: ﴿ سَأْتِيهِمْ ءَايَاتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت: ٥٣).“^(٢).

فالمسلم إذا قرأ كتاب ربه فإنه لا يجد فيه تعارضاً بين العقل والدين، ويجده يعيب على الكفار وليس المؤمنين عدم الالتزام بالعقل، بل لو قرأت كتاب الله تعالى كله من أوله إلى آخره فلن تجد فيه أن الله تعالى عزا ضلال أحد إلى اعتماده على عقله، وإنما يعزوه إلى اتباع الهوى.^(٣)

المطلب الثاني: الإطار الإسلامي التوحيدي وصلاحيته.

هل يمكننا كأمة أن نتقدم ونتطور وننهض من غير ذلك الإطار الغربي وقيمه وديمقراطيته المزعومة؟ وهل ديننا الإسلامي عائقاً لهذا التقدم؟ وهل يجب علينا أن نتخذ موقفاً من ديننا كما اتخذوا هم موقفاً من دينهم، وأن ذلك سبيل النهضة؟

-
- (١) انظر: جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا، ص ٦٣٨. وقد أشار المفسر عبدالرحمن الدوسري إلى انخداع القوميين العرب بالثورة الفرنسية واعتبارهم أن الدين لا يصلح للحكم، ويعادي العلم، ولم يفرقوا بين حكم الإسلام والكنيسة، وذلك بسبب تقليدهم الأعمى للغرب الذي جرهم إلى قياس الدين الإسلامي الصحيح على دين الكنيسة المحرف، وهو قياس فاسد. انظر: الدوسري، صفوة الآثار والمفاهيم، ج ٦، ص ٤٩١؛ ج ٧، ص ٤٤٩؛ ج ٥، ص ١٥٣.
- (٢) جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا (المجموعة الأولى)، ص ٤٢.
- (٣) انظر: جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ١١٦-١١٧؛ جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ٢٤١-٢٤٢.

ضرب أ. د. جعفر إدريس مثالا لدول تقدمت وواكبت العصر مع أنها لم تكن في ظل الديمقراطية المزعومة، ولم تأخذ قيمها: ”الديمقراطية مهما كان فيها من حسنات ليست بشرط ضروري للتقدم الاقتصادي والعلمي والتقني، فهذا الاتحاد السوفييتي كان قد تقدم مثل هذا التقدم، بل كان سابقاً للغرب الديمقراطي في بعض المجالات رغم شنيع دكتاتوريته، وها هي الصين، وها هي كوريا الشمالية تتقدمان في هذه المجالات تقدماً يزعج الغرب أيما إزعاج“^(١).

فالتقدم -إنن- ليس مرهوناً بأن يكون ”نظامنا السياسي مثل نظامهم، وموقفنا من ديننا مثل موقفهم من دينهم، يحرفونه كما شاؤوا، ويخضعونه لأهواء عصرهم، ويفصلون بينه وبين دولتهم...“^(٢)، بل ”لقد كانت الحضارة الإسلامية حضارة العصر حتى بداية القرن السادس عشر الميلادي، وكانت سابقة في كل مجال من مجالات العلم والتقنية كما يعترف بذلك الغربيون ولم تكن تبيح ما ندعى الآن إلى إباحته. والحضارة الغربية نفسها لم تكن في بداية تقدمها المادي والعلمي تبيح ما تبيحه الآن؛ فلم تكن هذه الإباحية من أسباب تقدمها، بل هي من علامات تدهورها كما يعترف بذلك كثير من عقلائها.“^(٣). إذن، فالدين لم يكن عائقاً عن ذلكم التطور والتقدم: ”إن الدين يكون عائقاً حين يكون ديناً يحول دون الأخذ بالأسباب الموضوعية للتقدم المادي.“^(٤). ولم يكن الإسلام كذلك يوماً من الأيام.

ولكن هذا الإطار الإسلامي يوقعك الخروج عنه في المشاكل والتناقضات، وقد يؤدي بك إلى الهلاك، وقد شبه أ. د. جعفر إدريس الحدود الإسلامية - في أثناء حديثه عن الحرية - بالحدود التي توضع على جانبي الجسر؛ فهي تحد من حرية

(١) جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا المجموعة الثانية، ص ٢٦. كما أشار في موضع آخر إلى أن الربط بين الحق والقوة المادية - في أصله - اعتقاد كفري. فليس كل صاحب قوة مادية الانتزاع على الحق. انظر: جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا، ص ٥١٣-٥١٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٦.

(٤) المرجع نفسه.

السائق، لكنها مفيدة له؛ لأنها تمنعه من الوقوع في البحر أو الهوي في واد سحيق^(١)، وكذلك الحال في الإطار الإسلامي.

وكمثال للتصورات التي نأخذها من هذا الإطار، وصلاحيه هذه التصورات لكافة المجتمعات، وأنها ليست قاصرة على المجتمع الإسلامي، يقول أ. د. جعفر إدريس: ”إن القرآن الكريم يتحدث عن الإنسان في أصله الفطري: الإنسان المسلم، وغير المسلم، فحين يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾^(١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ (المعارج ١٩-٢١) فإنه لا يعني الإنسان المسلم، لأنه يقول بعد ذلك: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾^(٢٢) (المعارج ٢٢). بل إنه لا يتحدث عن الإنسان في أصله الفطري لأنه تعالى يقول في آية أخرى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾^(٧) (الشمس: ٧) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (كل مولود يولد على الفطرة)^(٢). ومن هنا نخرج بتصور عام للإنسان فنقول إنه في أصله الفطري، كذا وكذا، وإذا حاد عنه صار كذا وكذا، وإذا أسلم كان إسلامه امتدادا لذلك الأصل فصار كذا وكذا. وكذلك حين يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١) فإنه يعطينا قانوناً اجتماعياً عاماً شاملاً لكل المجتمعات الإنسانية وليس خاصاً بالمجتمعات الإسلامية^(٣).

أما صلاحية الإسلام ومزاياه لأن يكون إطاراً تنطلق منه العقول الراشدة للبحث والتطور في سائر العلوم، فقد أكد أ. د. جعفر إدريس أن الإسلام هو الدين الوحيد الثابتة نصوصه - وقد عُدَّ كلامه بما أقره بعض الغربيين -، وهو الدين

(١) جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا (المجموعة الأولى)، ص ١١٢-١١٣.
(٢) رواه البخاري بهذا اللفظ في كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم ١٣٨٥. (بيروت: دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط ٢، ٤٢٩ هـ)، ج ٢، ص ١٠٠. ولفظ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة..» رواه البخاري، حديث رقم: ١٣٥٨، ١٣٥٩، ٤٧٧٥، ٦٥٩٩. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، حديث رقم: ٢٦٥٨. (مصر- الفيوم: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط ١، ٤٣٠ هـ)، ج ٨، ص ٥٢.
(٣) جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ١٧٧. وانظر: جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ٣٦؛ جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا، ص ٤٦٦.

الذي لا يتعارض مع مكارم الأخلاق، وهو الدين الوحيد الذي يتميز بعدم تناقضه مع الحقائق العلمية، بل سبق إلى تقرير حقائق علمية ما عُرِفَتْ إلا في عصورنا، ولا يمكن معرفتها في عصر التنزيل، فهي معجزات علمية. وهو الدين الوحيد الذي لا يقرر أو يشرع شيئاً يتناقض مع المبادئ العقلية، فكل هذه المزايا تثبت صلاحية هذا الإطار الإسلامي^(١). يقول أ. د. جعفر إدريس عن عدم تناقض الإسلام مع المبادئ العقلية: ”وقد انتصرت مناهج العلوم الطبيعية للدين الحق انتصاراً في هذا المجال هو إنكارها لما يسمونه الآن بالمادية الغليظة التي كان يقول أصحابها ﴿أرنا الله جهرة﴾ (لنساء: ١٥٣) زاعمين أن الدليل الوحيد على دعاوى الحقائق الغيبية هو المشاهدة الحسية. جاءت العلوم الطبيعية بمناهج تعتمد الاستنتاج العقلي والانتقال به من الشاهد إلى الغائب، من الآيات المشاهدة إلى الحقيقة الغائبة التي هي آية لها.“^(٢)

ولتوضيح سعة هذا الإطار، وأن الالتزام به لا يعني أن يكون كل شيء فيه قولاً واحداً بلا اختلاف، يقول أ. د. جعفر إدريس: ”والإطار الإسلامي لن يعصم العالم المسلم من الخطأ، ولن يجعل كل ما يقوله موافقاً للإسلام، ولن يمنع من تعدد الآراء والنظريات واختلاف العلماء المسلمين وتخطئة بعضهم لبعض، لأنه إذا كان كل هذا يحدث في مجال الفقه – والأدلة الشرعية التفصيلية أقرب إليه – فكيف لا يحدث لمن لا يملكون مثل هذه الأدلة التفصيلية ولمن يكتفون – في معظم الأحيان – بمجرد وضع علمهم في داخل الإطار الإسلامي؟“^(٣)

ثم يتابع مبيناً المزيد من مزايا هذا الإطار، وأنه إطار يجمع النفس البشرية ولا يشقتها، فيقول: ”وإذا كانت الدعوة إلى إسلامية العلوم لا تخالف الموضوعية بل تؤيدها، فإنها تضع للعالم المسلم حلاً لمشكلة نفسية لا يشعر بها العالم الملحد ولكن

(١) انظر: جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ٢٣٦-٢٣٨؛ جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ٢٢٣-٢٢٤. وقد كتب مقالا حول نفس هذا الموضوع بعنوان: (عندما تؤيد الدراسات العلمية الحقائق الإسلامية). انظر: جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا، ص ٥٤٥-٥٤٩.

(٢) جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ٢٣٧. وانظر: ص ٢١-٢٢، ص ٣٩-٤٠.

(٣) جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ١٧٨.

يشعر بها كثير من العلماء المؤمنين بالنصرانية أو المعتقدين في وجود الخالق وفاعليته. أعني مشكلة الانفصام بين شخصية الإنسان وهو يبحث في مجاله العلمي ويكتب ويناقد، وشخصيته وهو يتلو كتاب الله تعالى ويصلى ويصوم ويتزوج ويعاشر الناس.

والانفصام سببه أن الحالة الأولى تفرض عليه أن ينسى إيمانه أو يعلقه، والحالة الثانية تدعوه إلى أن يذكر هذا الإيمان ويستشعره. والإنسان لا يرتاح إلى الشتات في الأمور الفكرية، فكيف به في الأحوال النفسية؟

فإذا كان العلماء الطبيعيون يبحثون - تخلصاً من الشتات وسعيًا إلى الوحدة- عن مبدأ واحد أو نظرية واحدة ترجع إليها سائر النظريات الأساسية حتى تفسر مظاهر الطبيعة بمبدأ واحد ترجع إليه حقول القوى الطبيعية الأربعة المعروفة حتى الآن، أعني الجاذبية والكهرومغناطيسية والحقل القوي والحقل الضعيف.

وإذا كانوا يبحثون وراء مظاهر المادة المختلفة الأشكال والألوان والأحجام والخصائص عن اللبنة الأساسية التي ترجع إليها هذه المظاهر، أفلا يسوغ - بل أليس من الأخرى - أن يبحث العالم عن تصور الكون بجمع شتات نظرياته الطبيعية والاجتماعية والفردية، بحيث لا يعيش في انفصام بين شخصه وهو باحث علمي، وشخصه وهو رجل اجتماعي، وشخصه وهو رب أسرة، وشخصه وهو متأمل في ذاته أو متذوق للجمال أو ملتزم بالأخلاق أو مدافع عن الحقوق.

إنَّ المبدأ الذي يجمع هذا الشتات هو: مبدأ التوحيد، مبدأ الإيمان بالله واحداً لا معبود بحق سواه، والإيمان بأن طريق محمد صلى الله عليه وسلم هو وحده الطريق الموصل إلى الله^(١).

المبحث الرابع: الرد على الشبهات المثارة حول إسلامية المعرفة، وتصحيح المسار.

المطلب الأول: في مجال رد الشبهات.

(١) المرجع السابق، ص ١٧٨-١٧٩.

أولاً: ذكرنا سابقاً أن من خطوات إسلامية المعرفة: دراسة أحوال الغرب وتاريخهم وتطورات العلم لديهم ومعرفة آخر ما توصلوا إليه، فقد نجد من النظريات العلمية لدى الغرب ما يتعارض مع ديننا الإسلامي وثوابته - وهذا دليل على بطلانها -، ثم يكتشف الغرب بعد ذلك بطلان هذه النظرية ويأتي بما يتوافق مع الدين الإسلامي وحقائقه التي هي حقائق كونية دينية أصلاً.

وفي هذا رد على الذين يقولون عن إسلامية المعرفة إنها: ”دعوة جوفاء، لا حاصل لها إلا تبديل أسماء بأسماء، أي أن الداعي إلى الإسلام في أي علم من العلوم سيأخذ بما قال الغربيون من حقائق، وبتفسيرهم لتلك الحقائق أو بأخذ منهجهم العلمي في إدراك الحقائق الطبيعية والاجتماعية ثم يسمى ذلك علم نفس أو اقتصاد أو اجتماع إسلامي.“^(١) وعلى الذين يقولون عنها أيضاً إنها: ”مظهر من مظاهر النظرة الدينية الضيقة المتزمتة التي أفسدت علينا - بزعمهم - حياتنا الاجتماعية والسياسية وتريد الآن أن تمتد يدها إلى الحقائق الموضوعية العلمية فتزيفها بأن تلوي أعناقها لتتواءم مع دعاواها الدينية“^(٢).

ومن الأمثلة التي توضح بطلان أقوالهم تلك: ما ذكره أ. د. جعفر إدريس في مقالته: (خبط عشواء .. أم تقدير حكيم؟) عن نظرية التطور لدى دارون، وما توصل إليه أحد علماء الأحياء من نقض هذه النظرية، وهو الأستاذ في علم الأحياء الكيماوية Michael behe في كتاب له صدر عام ١٩٩٦م بعنوان: (صندوق دارون الأسود: التحدي الأحيائي الكيماوي للتطور) وقد قال المؤلف في كتابه هذا إن الأحياء الدقيقة مثل الخلية كانت بالنسبة لدارون أمراً مجهولاً، صندوقاً أسود لا تُعرف محتوياته، وأن نظريته لا تفسر أشياء مهمة مثل الخلية التي هي أساس الكائنات الحية. وكانت حجة هذا العالم الجوهرية أن تركيب هذه الكائنات يدل على أنها لا يمكن أن تكون قد تطورت، وأنها صممت منذ البداية لتؤدي وظيفتها، وأنه لا بد أن يكون قد صممها

(١) المرجع السابق، ص ١٥٩.

(٢) المرجع نفسه.

مصمم حكيم. (١)

وهذا الدليل الذي اعتمد عليه هذا العالم هو دليل العناية، وهو دليل قديم ومعروف، مضمونه: أن التصميم البديع والمتناسق لهذا الكون لا يمكن أن يكون خبط عشواء، وإنما هو من تقدير الخالق الحكيم، فهذه المخلوقات كلها تدل على خالقها الأزلي سبحانه، .. ويقول لك دليل العناية إن هذه المخلوقات منسقة بحيث تؤدي إلى غايات لا يمكن أن تكون قد جاءت بالمصادفة. فالشمس تسطع على البحر فيرتفع منه بخار يتحول إلى ماء تسوقه رياح ينزل على أرض خصيبة تنبت نباتاً يأكله بشر وتأكله حيوانات يكون بعضها غذاء لبعض. (٢)، يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة ١٦٤).

إذن لم يكن القصد من الدعوة إلى أسلمة العلوم: "أن نغير الحقائق العلمية كما ظن بعض من اعترضوا على الفكرة؛ لأن ديننا يقوم على الحق، فلا يحتاج إلى تغيير حقيقة مهما كان نوعها. (بل) (٣) هو أن توضع الحقائق كلها الطبيعية والاجتماعية والنفسية في إطار إيماني بدلاً من الإطار المادي الإلحادي الذي توضع فيه الآن، والذي يؤدي إلى جعل الدين بالضرورة أمراً مخالفاً للعلم الطبيعي." (٤).

فهذه الحقيقة المتوصل إليها أخيراً، قد دل عليها ديننا الإسلامي، فلا نريد أن نغير الحقائق أو نلبسها لباس الإسلام، بل الحقيقة هي الإسلام، والإسلام هو الحقيقة، ولكن ما يحصل في الغرب هو ما يوضحه أ. د. جعفر إدريس من أن الإلحاد

(١) انظر: جعفر شيخ إدريس، خبط عشواء .. أم تقدير حكيم؟، مقالة تجدها على موقعه في الإنترنت.

(٢) المرجع السابق. وانظر: جعفر شيخ إدريس، الفيزياء ووجود الخالق، ص ٥٤-٥٧.

(٣) زيادة ليتضح المعنى.

(٤) جعفر شيخ إدريس، خبط عشواء .. أم تقدير حكيم؟، مقالة تجدها على موقعه في الإنترنت.

هو: اعتقاد لا علاقة له بالعلم، ولكن الغربيين عندهم ما يمكن أن يسميه الباحث (متلازمة الإلحاد) فكلما اكتشفوا سبباً طبيعياً لظاهرة من ظواهر الكون أرجعوها إلى ذلك السبب الطبيعي، وزعموا أنه يغني عن وجود الخالق. يقول أ. د. جعفر إدريس: ” هذا اعتقاد قديم، وليس من العلم الحديث في شيء. فالذي نذكر الله لنا قولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (الجاثية: ٢٤) كانوا يعتقدون مثل هذا الاعتقاد، والذين فسروا التاريخ بقولهم: ﴿قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ (الأعراف: ٩٥) كانوا أيضاً منكرين لوجود الخالق، معتقدين أنه ليس وراء حوادث الكون مدبر، وأنها تقع خبط عشواء. أما المؤمنون فإنهم لا ينكرون فاعلية الأسباب الطبيعية، أو المقدرات البشرية. هل رأيت مؤمناً ينكر أن الطعام يغذي، والماء يروي، والدواء يشفي؟ لكنهم مع اعتقادهم بفاعلية الأسباب إلا أنهم مؤمنون بأن لها خالقاً هو الذي جعلها أسباباً، وأنه لا تنافي بين فاعلية الله وفاعلية الأسباب الطبيعية، أو فاعلية الإرادة البشرية؛ لأن الله تعالى هو الذي خلق الأسباب وجعلها أسباباً؛ ولأنه سبحانه من عادته أن يفعل بالأسباب كما كان علماؤنا يقولون.“^(١).

بل لشدة الشبق الإلحادي - إن صحَّ التعبير - لدى الغربيين في إطارهم هذا، تجدهم ينكرون أي تفسير لأي ظاهرة توحى بمؤثر خارجي، حتى وإن كانت في حقيقتها فكرة إلحادية، ومثاله: أن أحد كبار الفلكيين المعاصرين (فرد هويل) له نظرية عن أصل الكون وفحواها أن الذرات تأتي من العدم، فانتقده الناس، ليس من ناحية علمية مجردة، ولكنهم قالوا: إن هذا كلام ديني! لأنهم وكما يصفهم هذا الفلكي نفسه في موقف آخر: ”إنهم مهتمون بمنع الرجوع إلى الغلو الديني الذي حدث في الماضي أكثر من اهتمامهم بالتطلع إلى الحقيقة. إن النظرة الجهنمية التي وصفناها أنفا قد سيطرت على التفكير العلمي خلال القرن الماضي كله.“^(٢) وسبب ذلك - طبعاً - ما حصل من صراع بين العلم والكنيسة، أو العلم والدين.

(١) المرجع السابق.

(٢) جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ١٦٦.

وهذا هو الإطار الإلحادي الذي صدرت منه تلك العلوم الغربية، فيجب علينا كمسلمين أن نفصل بين تلك الفلسفات والمنطلقات لدى الغرب، وبين ما توصلوا إليه كحقائق علمية لا علاقة لها بتلك المنطلقات، ونقوم بغربلة تلك العلوم، وهو ما يسمى: بإسلامية المعرفة، أو أسلمة العلوم.

يقول أ. د. جعفر إدريس خلال حديثه عن الغزو الثقافي الغربي: ”إن حل مشكلة (الغزو الثقافي) الغربي للعالم الإسلامي لا تكون بقطع الوشائج الفكرية بيننا وبين الغرب، فإن ذلك غير ممكن وغير مفيد. وإنما يكون بدراسة الحضارة الغربية دراسة تحليلية عميقة للتفرقة بين ما كان منها نافعاً يؤخذ أو ضاراً يترك بميزان علمي خلقي يقبله كل عاقل.“^(١). فالمسألة ليست تغيير أسماء، أو مجرد مظاهر شكلية.

ثانياً: يرد أ. د. جعفر إدريس على القائلين بأن العلوم الطبيعية قد حققت إنجازات كبيرة، ولو لم تكن قائمة على حق في تقريرها للواقع وتفسيرها له لما نتجت عنها هذه الإنجازات، وأن هذا يدلنا على صحة الإطار الإلحادي أو على الأقل أنه هو الإطار المناسب. يرد عليهم من ثلاثة أوجه^(٢):

الوجه الأول: يوضح لهم أ. د. جعفر إدريس أن القول بصلاحيّة الإطار الإسلامي وأنه خير الأطر لا يعني أن الأطر الأخرى لا تدرك أية حقيقة موضوعية وإن أدركتها فلا بد أن تصبغها بصبغتها. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم ٧). ”فهم إذن يعلمون شيئاً مما يتعلق بالحياة الدنيا رغم حبسهم لأنفسهم في إطار لا يعترف بوجود دار آخرة. لكن هذا الإطار يحول دونهم ودون إدراك حقائق أخرى ﴿وَلَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمِطِرَتْ مَطَرَ السَّوِّءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾

(١) جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ١٥٥.

(٢) انظر: جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ١٧٢-١٧٤.

(الفرقان ٤٠) أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا؟ بلى، كانوا يرونها، وكيف لا يرى ذو عينين قرية وهو يمر عليها!! إنهم يرونها فيعلمون شيئاً هو الذي وصفته الآية الأولى بالعلم الظاهر، لكن إنكارهم للأخرة يحول دونهم ودون تفسير هذا الذي يرونه تفسيراً صحيحاً، يحول دونهم ودون إدراك ما يدل عليه ويشير إليه هذا الواقع المشاهد.“، وعدم إدراكهم هذا اعتبره أ. د. جعفر إدريس نقصاً في العقل، وأرجع سببه إلى الإطار الإلحادي الذي يُنكر الآخرة، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا﴾ (العنكبوت ٣٥) أي من تلك القرية، ﴿ءَايَةً﴾ أي دليلاً وشاهداً ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فرؤية ما بقي من القرية على أنه آية يحتاج إلى كمال في النظرة العقلية لا يتأتى لمن يحبس نفسه في إطار أيديولوجي لا مجال فيه للأخرة.“.

الوجه الثاني: أن هذه الشبهة تصح لو قيل: بأن الملحد لا يدرك أي نوع من العلوم. وتصح لو أن ما تم إدراكه داخل الإطار الإلحادي من علوم لا يمكن إدراكه في داخل الإطار الإسلامي. ولا دليل على كلا الأمرين.

الوجه الثالث: أن هناك علماً مشتركاً بين الإطارين ليس مختصاً بأحدهما؛ كالعلم بوجود الليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم، وغير ذلك، ويشترك الإطاران أيضاً في العلم بكثير من الأسباب الطبيعية ويأخذان بها، وبالتالي .. فما يعترف به الإطار الإلحادي من حقائق ليس شيئاً خاصاً به أو ناتجاً عنه وحده، وإنما هو أمر مشترك بينه وبين الإطار الإيماني لأنه ليس في الإطار الإيماني ما يمنع من إدراك آية حقيقة تدرك في حيز الإطار الإلحادي. لكن ميزة الإطار الإيماني - وهو إطار العقل الكامل - أنه يساعد على إدراك حقائق ومؤثرات وتفسيرات أخرى لها نتائج نافعة في حياة الناس العلمية، والعملية، والنفسية لا مجال لها داخل الإطار الإلحادي.“^(١).

(١) «إذا كنت أنا أدرس علم النفس فلن أحصر نفسي في الحقائق التي أصل إليها بالتجربة فقط، سأضيف إليها ما أجد في كتاب الله وفي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهكذا إذا كنت أدرس التاريخ، وأدرس علم الاجتماع. فالإطار إذا اختلف المفاهيم.» جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ١٨٥.

المطلب الثاني: في مجال تصحيح المسار^(١).

إن بعض دعاة إسلامية العلوم يعجبه اعتراف الغربيين بعسر الموضوعية أو تعذرهما، ويرى ذلك مسوغاً لدعوته، بناء على أن الغربيين ينظرون إلى الواقع من خلال أيديولوجياتهم وفلسفاتهم، ونحن كمسلمين - أيضاً - نفعل كما يفعلون، فننظر من منطلقاتنا أو أيديولوجياتنا. ولكنها حجة ضعيفة كما يقول أ. د. جعفر إدريس، وغايتها أن تفحم الخصم، لكنها لا تصلح أن تكون مسوغاً لإسلامية العلوم؛ لأنه يلزم عنها التالي:

أ- إما أن يقولوا بعدم وجود حقيقة موضوعية، فلذلك يجوز لكل إنسان أن يقول ما شاء حسب دينه ومذهبه وهواه. وهنا يكون موقفهم أسوأ من الغربيين؛ لأن الغربيين اعترفوا بعسر الموضوعية، لكنهم لا يقولون باستحالتها.

ب- أو يقولوا بأن هناك حقيقة موضوعية، لكنه من المتعذر معرفتها كما هي. ولا تدرك إلا وقد اصطبغت بالمنظور الأيديولوجي.

ج- بل يلزم عنها التشكيك بحقائق الدين الكبرى؛ مثل: الإيمان بالله واليوم الآخر وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن كل ذلك وجهات نظر لجماعة من الناس يسمون بالمسلمين، وليست حقائق موضوعية يمكن أن يُقام عليها دليل عقلي صحيح.

د- إذن، ما هو مسوغ إسلامية العلوم؟ إن هذا المسوغ يقوم على الاعتقاد بأن الموضوعية ممكنة، وأن بعض الأطر - بالقياس العقلي - خير من بعض، وأن الإطار الإسلامي - بالقياس العقلي - هو خير تلك الأطر وأصلحها.

والدعوة إلى إسلامية العلوم هي إذن دعوة إلى تأكيد الموضوعية لا إلى التخلي عنها؛ لأنها دعوة إلى أن يكون إطارها الفلسفي نفسه قائم على حقائق موضوعية، إنها دعوة إلى أن يفكر العالم ويشاهد ويجرب ويستنتج وهو مؤمن بالله، وبأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن كلام الله؛ لأن هذه نفسها حقائق

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٧١-١٧٥.

موضوعية عنده دليل عقلي على صحتها، إنها ليست دعاوى اعتقادية بل هي إيمان يقوم على علم ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (محمد ١٩). ﴿ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الحج ٥٤).

وإذا كان بعض الناس لا يؤمن بهذه الحقائق لجهلهم بها أو لعنادهم، فإن الباحث المسلم لا يرجئ إيمانه بها حتى يذعن الآخرون جميعاً ويسلموا، كما أن أصحاب الإطار الإلحادي لم ينتظروا حتى يصير الناس جميعاً ملحدين. بل إن إيمانه بها وإعلانه لهذا الإيمان وهو يبحث ويفكر ويجرب ويكتب ويناقش سيكون من أقوى الأدلة على أنه لا تناقض بين البحث العلمي والاعتقاد الديني الإسلامي، بل إن ما ينتج عن الالتزام بهذا الإطار من ثمار علمية واقعية ونظرية سيكون هو نفسه من أقوى الأدلة على فضله وتفوقه على الإطار الإلحادي المادي. وهو المعنى الذي يشير إليه أ. د. جعفر إدريس دائماً من أن التطور والتقدم في العلوم الطبيعية لا يتناقض مع الإطار الإسلامي، بل يؤكد ويتوافق معه.

المبحث الخامس: جهوده في إسلامية المعرفة.

لم يكتف أ. د. جعفر إدريس بالتنظير لإسلامية المعرفة، بل كان فعالاً نشطاً في هذا المجال وتعددت جهوده بين الكتابة وإلقاء المحاضرات، وحضور المؤتمرات والمشاركة فيها، ومناقشة الخصوم والرد عليهم، ونقض الحقائق المزعومة لدى الغرب. يفعل ذلك كله جامعاً بين الشرع والعقل، وهذا مما تميز به أ. د. جعفر إدريس ويحاول إبرازه كثيراً، ويرد المعارضات التي تزعم التناقض بين الشرع والعقل، أو الشرع والخلق. وهو كما يقول عن نفسه: ”وأنا حين أقف على أرض عقلانية أو من بأنني أقف في الوقت نفسه على أرض إسلامية صلبة، لا اعتقادي بأن العقل جزء لا يتجزأ من الدين الحق“^(١).

(١) جعفر شيخ إدريس، الإسلام وحقوق الإنسان، مقالة كتبها عام ٢٠٠٠م، تجدها على موقعه في الإنترنت.

وقد مر معنا في المبحث السابق رده على الشبهات، وتصحيحه للمسار،
وبعض من جهوده في ثنايا البحث، وسيشير الباحث- هنا - إلى بعض النماذج
التطبيقية من جهوده:

النموذج الأول:

رد أ. د. جعفر إدريس على الماديين في مقالته (الأسس الفلسفية للمذهب
المادي) وفند حججهم، ووضع عشرًا من أسسهم المادية ونقضها واحدة تلو الأخرى
بالحجج العقلية.

ومن جميل ما ذكره في هذه المقالة وهو يُحسب لأسلمة العلوم، وللحضارة
الإسلامية وسبقها: أن الإمام الغزالي رحمه الله في أثناء رده على جالينوس الذي
يزعم أن الشمس أزلية ولا تفسد ولا يعترتها الذبول، يقول: ” (فمن أين عرف أنه لا
يعترتها الذبول؟ أما التفاته إلى الأرصاد فمحال، لأنها لا تعرف مقاديرها إلا بالتقريب،
والشمس التي يقال: إنها كالأرض مائة وسبعين مرة أو ما يقرب منه، لو نقص منها
مقدار جبال مثلاً، لكان لا يتبين للحس، فلعلها في الذبول وإلى الآن قد نقصت مقدار
جبال فأكثر، والحس لا يقدر على أن يدرك ذلك، لأن تقديره في علم (المناظر) لا يعرف
إلا بالتقريب. وهذا كما أن الياقوت والذهب مركبان من العناصر عندهم وهي قابلة
للفساد، ثم لو وضعت ياقوتة مائة سنة، لم يكن نقصانها محسوساً. فلعل نسبة
ما ينقص من الشمس في مدة تاريخ الأرصاد كنسبة ما ينقص من الياقوتة في مائة
سنة، وذلك لا يظهر للحس، فدل أن دليله في غاية الفساد).^(١) وهذا الذي ذكره الغزالي
احتمالاً قد أثبتته العلم الآن يقيناً. فمن المسلم به الآن.. أن الإشعاع الصادر عن الشمس
من كتلتها وإن كان القدر الذي ينقصه ضئيل جداً (تحويل ١٪ من كتلة الشمس من
الهيدروجين إلى الهيليوم يمدّها بطاقة تكفي لإبقائها مضيئة لمدة ١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠

(١) انظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تهافت الفلاسفة، (مصر-القاهرة: دار
المعارف، ط ٤، ١٣٨٥/٥١ ١٩٦٦م)، ص ١٢٦-١٢٧.

عاما) دائرة المعارف البريطانية طبعة ١٩٦٣^(١).

النموذج الثاني:

يبين أ. د. جعفر إدريس أن ما جاءت به الحضارة الغربية من فلسفات ليس بجديد، وإنما هو - حسب وصف الباحث - جاهلية بشكل جديد، ويدلل على ذلك من القرآن، ويمكن الإشارة إلى مثالين هنا:

المثال الأول: مسألة: عدم الإيمان إلا بما هو محسوس. فقد ذكر أ. د. جعفر إدريس أن هذه المسألة ذكرها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة: ٥٥)، وكرر كفار العرب نفس المسألة، فقد اشترطوا لإيمانهم أن يأتي الرسول بالله والملائكة قبلا ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٢١)،

﴿أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كَيْفًا أَوْ تَأْتِي بِلَهُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ فَيُتْلَىٰ﴾ (الإسراء: ٩٢). كما اشترطوا لإيمانهم بالبعث أن يُبعث من مات من آبائهم كي يروههم عيانا: ﴿وَإِذَا نُتِلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءِآيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا بَنِيَّ إِنَّا كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الجن: ٢٥)^(٢). فمسألة عدم الإيمان إلا بما هو محسوس مسألة قديمة ليست من بنات أفكار الفلسفة الغربية.

المثال الثاني: ذكر أ. د. جعفر إدريس أن ما يزعمونه من أن الكون مكتف بنفسه غير محتاج إلى قوة من خارجه، قد ذكره القرآن عن الملحدين:

(١) جعفر شيخ إدريس، الأسس الفلسفية للمذهب المادي، مقالة تجدها على موقعه في الإنترنت. وفي موضع آخر أشار إلى سبق الغزالي، وابن تيمية، وأهل السنة، في عدة مفاهيم ومنها: الأشياء المتعلقة بمفهوم السببية وفاعلية الأسباب، وتعدد الصفات في الذات الواحدة، وقد عد ذلك من التشابه بين الفلسفة الغربية الحديثة والفكر الإسلامي. انظر: جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ١٨٥-١٩٤، ١٩٩؛ ٢١٢.

(٢) انظر: جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ١٦٢.

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (الجاثية: ٢٤). كما قاموا أيضا بتفسير الحوادث التاريخية بأنها صدفة من فعل الدهر لا بتقدير الخالق الحكيم، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ (٩٤) ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَعْنَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩٥) (الأعراف: ٩٤-٩٦). ثم نقل قول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "قالوا قد مسنا من البأساء والضراء، ثم بعده من الرخاء مثل ما أصاب آباءنا في قديم الدهر، وإنما هو الدهر تارات وتارات..."^(١). فمسألة اكتفاء الكون بنفسه وعدم حاجته لمؤثر خارجي ليست هي أيضا من مخترعات الفلسفة الغربية.

النموذج الثالث:

ومن جهود أ. د. جعفر إدريس الواضحة: القراءة فيما يكتبه كبار الغربيين عن المشاكل المعاصرة؛ لأنه يقرر - في سياق تحدته عن سيرنا في طريق الغرب في كثير من نواحي حياتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية - أن الاهتمام بما يحدث في الغرب من مشكلات هو اهتمام بمستقبلنا؛ «لأن مشكلات الغرب الآنية هي مشكلاتنا المستقبلية إذا ظللنا نسير في طريقه غير معتبرين بمزلقه»^(٢).

إذن، علينا الاهتمام بما ينشره علماء الغرب ومفكروه أنفسهم، واستفادتنا من كتاباتهم لا تعني بالضرورة قبولنا لتفسيراتهم وحلولهم التي يقترحونها. بل يجب علينا أن نفكر لأنفسنا ونجتهد في التفسير والحلول مسترشدين بديننا ومعتبرين بتاريخهم وتاريخنا. ولذلك كتب أ. د. جعفر إدريس ملخصاً عن كتاب فوكوياما (الانفراط العظيم) في ثلاث مقالات^(٣).

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٦٢-١٦٣؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ج ٣، ص ٤٥٠.

(٢) جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا (المجموعة الأولى)، ص ٢١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٣٠-٤٣؛ جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا المجموعة الثانية، ص ٧. وقد قال أ. د. جعفر في موضع آخر: «... من العلمانيين: من يدرس عيوب المجتمع الأمريكي دراسة علمية

وأطلق أ. د. جعفر إدريس على فرانسيس فوكوياما^(١) وصف العمى الثقافي؛ إذ أوضح أن فوكوياما يزعم أن القيم الغربية هي القيم العصرية الصالحة لأن تكون عالمية، وأننا إذا لم نأخذ بها فلا أمل لنا في تحديث مجتمعاتنا، وبالرغم من ذلك يكتب فوكوياما كتابه: (الانفراط العظيم) ويذكر فيه «أن الدول الصناعية كلها تعاني من تفكك اجتماعي عزا معظمه إلى تفكك الأسرة، وذكر أن من أسباب تفكك الأسرة اختلاط النساء بالرجال في أماكن العمل، وانتشار حبوب منع الحمل، ونظريات جعلت الإباحية تحراً، وأن هذا كله أدى إلى ازدياد في معدلات الخيانات الزوجية، ومعدلات الطلاق، وأن تفكك الأسرة أدى إلى سوء تربية الأطفال، وإلى نقص في ما يسمونه بالرأسمال الاجتماعي: نقص في الثقة في الزعماء السياسيين، ورجال الدين، وازدياد في معدلات الجريمة، وتعاطي المخدرات.»^(٢)، بل إن فوكوياما يقرر في الكتاب ذاته أن ثلث الولايات المتحدة هم أولاد غير شرعيين، وكذلك نصف الدول الاسكندنافية.^(٣) فأي قيم تلك التي يدعوننا إليها فوكوياما!؟

ولكن لا يمنعنا ذلك من معرفة تلك المشاكل التي يمرون بها حتى لا نقع في نفس الأخطاء؛ ولذلك أوضح أ. د. جعفر إدريس في مقالته (أمريكا المريضة) أن فوكوياما أرجع أسباب التفكك الاجتماعي الذي تعاني منه الدول الصناعية كلها إلى تفكك الأسرة، وأرجع هذا التفكك إلى الخيانات الزوجية، وهذه الخيانات - كما أوضح - أدت إليها أسباب ثلاثة:

-
- ممتازة، ينبغي أن يتعلم منها المسلمون المبهورون بالحياة الغربية، فالعاقل من اتعظ بغيره. من هؤلاء فوكوياما في كتابه الانفراط العظيم». جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ٥٧.
- (١) قال أ. د. جعفر شيخ إدريس: «المؤلف هو الآن أستاذ السياسات العامة بجامعة جورج ميسن بولاية فرجينيا، وقد عمل قبل ذلك بوزارة الخارجية الأمريكية.»، قاله في أكتوبر ١٩٩٩ في مقال بعنوان (الانفراط العظيم). جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا (المجموعة الأولى)، ص ٣٠.
- (٢) جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا المجموعة الثانية، ص ٧. وقال في نفس المرجع ص ١٩ في مقالة له بعنوان (الاعتبار بمآلات معاصي الكفار): «وقد كتب صديقنا أستاذ علم النفس الدكتور مالك بدري كتاباً كاملاً عن العلاقة بين مرض الإيدز والقيم المصاحبة للحدثة.».
- (٣) جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا (المجموعة الأولى)، ص ٣٢.

« ١- فكر شاع في الثمانينات يشجع الممارسات الجنسية غير المقيدة بعدها نوعاً من الحرية.

٢- حبوب منع الحمل.

٣- اختلاط الرجال بالنساء في أماكن العمل.»^(١).

ويضيف أ. د. جعفر إدريس سبباً آخر، قائلاً: «لكنه نسي شيئاً أهم من هذا كله هو: ضعف الوازع الديني الذي أدى إليه تغلغل العلمانية.»^(٢). ويستشهد لصحة تلك الإضافة بمقولات لثلاثة كتاب غربيين، أحدهم: فيلسوف كاثوليكي، والأخرى طبيبة مختصة بالمراهقين، والثالثة دكتورة مشهورة.^(٣)

كما ذكر في بداية هذا النموذج: أنه يجب علينا أن نجتهد في التفسير ووضع الحلول، لا أن نأخذ بتفسيراتهم وحلولهم، وهذا ما قام به أ. د. جعفر إدريس بالفعل، ولولا خشية الإطالة لذكرت الأمثلة على ذلك.^(٤)

ويتعجب أ. د. جعفر إدريس من الغربيين الذين يقولون: إن ديننا هو سبب ضعفنا وتخلفنا، وكأنهم يقدمون النصح لنا، ويتساءل: هل هم حريصون على أن نكون أقوىاء؟ إنهم يرون أن الصدام بين الحضارات قادم لا محالة، فهل يريدون لعدوهم الأول أن يملك القوة قبل ذلك الصدام؟^(٥). بل إنهم كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي^(٦):

برز الثعلب يوماً في شعار الواعظينا

(١) جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا المجموعة الثانية، ص ٨١.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) انظر: جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا المجموعة الثانية، ص ٨١-٨٢.

(٤) انظر: جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا (المجموعة الأولى)، ص ٤٠-٤٢؛ جعفر شيخ إدريس،

الإسلام لعصرنا المجموعة الثانية، ص ٨١-٨٢.

(٥) انظر: جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا المجموعة الثانية، ص ١٠.

(٦) انظر: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الشوقيات لأمير الشعراء أحمد شوقي، (بيروت: دار الكتاب

العربي، ط ١، ٤٢٧/٥١/٢٠٠٦م)، ج ٤، ص ٢١٥.

النموذج الرابع:

وفي مواجهته للحضارة الغربية وفكرها، قام أ. د. جعفر إدريس بنقض نظرية (النسبية)^(١) وهي نظرية في الفلسفة والعلوم الاجتماعية تسمى في الإنجليزية relativism، ويقول بها مفكرون معاصرون، ولا سيما المختصين منهم بعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا.

وهذا تنفيذ عملي لإسلامية المعرفة، فليس كل ما يأتينا من الغرب من علوم ونظريات يطبق بحذافيره، بل هناك ما يُرد كله، وهناك ما يؤخذ كله، وهناك ما تتم تصفيته من الشوائب أو تعديله.

ملخص هذه النظرية - كما يذكره أ. د. جعفر إدريس^(٢) - هو أنه ليس هناك معيار ثابت للتمييز بين الحق والباطل أو الخير والشر، بل هذه أحكام نسبية. وقد تختلف هذه الأحكام بالنسبة للأفراد؛ فما يراه زيد من الناس حقاً أو خيراً فهو حق وخير بالنسبة إليه، وإن خالفه غيره في ذلك. وهذا ما اختاره الغلاة من أصحاب هذه النظرية. ويرى بعضهم أنه قد يكون الاختلاف بالنسبة إلى ثقافة كل مجتمع، والثقافة عندهم تشمل: معتقدات المجتمع وسلوكياته ولغته وعاداته وتقاليده وفنونه ومخترعاته وتقنيته وتراثه^(٣)، فما يراه هؤلاء حقاً أو خيراً، فهو حق وخير بالنسبة لثقافتهم؛ لأنه لا يوجد معيار عالمي متفق عليه للتمييز بين الحق والباطل أو الخير والشر، كما تقرر هذه النظرية. وبناء عليه يقولون: لا يحق لأصحاب ثقافة ما أن يحكموا على الثقافات الأخرى بمعايير ثقافتهم؛ بل الحياد يستلزم أن يتم تقييم كل ثقافة حسب معاييرها هي، لا بمعايير خارجة عنها. ”فإذا كان الإسكيمو- مثلاً - يرون أنه من الكرم أن يُعير الزوج زوجته لغيره، وإذا كانت بعض المجتمعات تقتل

(١) انظر: جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ٢٦-٣٦.

(٢) انظر: جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا (المجموعة الأولى)، ص ٩٥-٩٦.

(٣) هناك معانٍ أخرى للثقافة حسب الاستعمال الحديث أشار إليها أ. د. جعفر إدريس في مقال له بعنوان: القراءة والثقافة. انظر: جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا، ص ٥٤٠-٥٤٤.

الأولاد في المهدي، أو تقتل كبار السن لأنهم لا ينتجون، فبأي معيار ننكر عليهم أعمالهم هذه؟^(١).

وقد انتصب أ. د. جعفر إدريس لنقض هذه النظرية في جهاد من جهاداته، ودور من أدواره في طريق إسلامية المعرفة، مصداقاً أقواله بفعاله، ناصحاً لأمتة، وكان نقضه لهذه النظرية من عدة وجوه، وسيشير الباحث إلى ثلاثة منها فقط^(٢)، فليس المقصد الحصر، وإنما التعريف بجهوده وإظهارها:

الأول: كونها من النوع الذي يقال عنه إنه ينقض نفسه؛ لأنه إذا كان كل حكم بالصحة أو البطلان وبالخيرية أو الشرية إنما هو حكم ذاتي أو ثقافي؛ فالقول بهذه النظرية هو بنفسه حكم ذاتي أو ثقافي، وبناء عليه: كيف يُزعم أنها حقيقة عالمية ويجب على الجميع مراعاتها؟ بل هي نظرية منقوضة بنفسها، فيمكننا القول: نظريتك هذه هي بالنسبة إليكم (ذاتياً أو ثقافياً) حقيقة، وبالنسبة إلينا زيف وباطل.

الثاني: أن عدم اتفاق الناس جميعاً على معايير للأخلاق وللصدق لا يعني أنه ليست هنالك معايير؛ فوجود المعيار شيء والاتفاق عليه شيء آخر.

الثالث: أن الواقع المحسوس الذي يؤمن بشهادته كل البشر يدل على كون الشيء حقاً أو باطلاً ليس بالأمر الذي تقررته الأهواء الفردية أو الثقافية. فلا يقول عاقل مهما كانت ثقافته: إن طلوع الشمس مثلاً أمر نسبي؛ فهي طالعة بالنسبة لبعض غائبة بالنسبة لآخرين في نفس الوقت ونفس المكان.

وللدكتور جهود ونماذج أخرى، منها:

أنه قد شارك عام ١٩٧٥م في أمريكا في مؤتمرين: أحدهما: لاتحاد الطلبة المسلمين، والآخر: لاتحاد العلماء الاجتماعيين المسلمين، وصدر بعد ذلك كتيب

(١) المرجع السابق، ص ٩٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٩٦-٩٨.

لما شارك به بعنوان: (منهج التحول إلى الإسلام)^(١). وفي إطار التحول إلى الوجهة الإسلامية يؤصل في هذا الكتيب للنظرية الإسلامية للتغيير الاجتماعي، أو قل إن شئت أسلمة التغيير الاجتماعي. والأصل المنطلق منه في هذه النظرية هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد ١١).

ومنها: تأليفه لكتاب: (الفيزياء ووجود الخالق)، ليثبت وجود الخالق بأدلة عديدة، عقلية وغيرها، ويناقش نظريات الفيزيائيين، ويرد على شبهات المعاصرين منهم ممن أنكروا وجود الخالق بمناقشة علمية عقلية^(٢).

ومنها: توضيح أن الانحطاط الذي وصلت إليه الأمة يرجع لممارستها - هي - للدين، لا للدين نفسه، أي لممارستها للدين بصورة غير موافقة للدين المنزل من السماء كما هو، وفصل ذلك في مقالته: (الدين دينان: منزل من السماء .. ومتخذ في الأرض)^(٣).

ومنها: حديثه عن الموضوعية، وأنها تتمثل في الإطار الإسلامي، كما في مقالته: (إسلامية العلوم وموضوعيتها)^(٤).

ومنها: حديثه عن النظريات حول الإنسان وفطرته، ومناقشته للغربيين في ذلك كما في مقالته التي بعنوان: (التصور الإسلامي للإنسان أساس لفلسفة الإسلام التربوية)^(٥).

ومنها: نقده للديمقراطية في مواضع متفرقة ومتعددة من كتاباته، ويعمل الآن على إصدار كتيب عن: (مشكلات الديمقراطية وبدائلها الإسلامية)، كما صرح

(١) تجده على موقعه في الإنترنت.
(٢) وكذلك انتقد الملحدون بسلسلة من أربع مقالات بعنوان: (اضطراب الملحد). انظر: جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا، ص ٥٩٦-٦١٩.
(٣) جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا المجموعة الثانية، ص ٩٠.
(٤) جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ١٥٨-١٧٩.
(٥) جعفر شيخ إدريس، مناهج التفكير، ص ٨٥-١٠٤.

بنفسه. وكذلك نقده للأسس الأيديولوجية التي تقوم عليها الليبرالية الغربية^(١).
وغيرها من جهوده المختلفة.

(١) انظر: جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات، ص ١٢٣؛ جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا، ص ٦٣٩-٦٥٠.

الخاتمة

يذكر الباحث في خاتمة البحث أهم النتائج المتوصل إليها، ثم التوصيات:

أولاً: أهم نتائج البحث:

١- إسلامية المعرفة عند أ. د. جعفر إدريس هي: محاولة إعادة صياغة المجتمعات كلها في قوالب إسلامية في تركيبها الاجتماعي، ونظمها القانونية، وأوضاعها الاقتصادية، وبرامجها التعليمية ووسائلها الإعلامية، مع الاعتقاد بأن هذه الصياغة شرط ضروري لنهضة الأمة الإسلامية وتحويلها من مرحلة التخلف والرجعية إلى مرحلة التقدم والمعاصرة

٢- ينظر أ. د. جعفر إدريس إلى إسلامية العلوم على أنها ليست خاصة بالدين الإسلامي، أو بأحوال المسلمين الراهنة، أو بتاريخهم، فهي لا تقتصر على المجتمعات الإسلامية، بل تشمل المجتمع الإنساني كله، بما في ذلك المجتمعات الغربية.

٣- جعل أ. د. جعفر إدريس مصادر المعرفة اثنين، وعبر عنهما بعدة تعبيرات: الوحي والكون، أو الشرع والخلق، أو حقائق الدين المتلوة، وحقائق الواقع المشاهد. وهما مصدران متوافقان غير متناقضين، يصدق أحدهما الآخر ولا يكذبه. أما وسائل المعرفة، فهي: الحس والعقل. مع تنبيهه لعدم الخلط بين المصادر والوسائل.

٤- يرى أ. د. جعفر إدريس أن خطأ الفكر الغربي في أنه يحصر مصادر المعرفة في الكون. فلذلك أصبح العلم عنده مخالفاً للدين.

٥- يرى أ. د. جعفر إدريس أن الخطة العامة لتطبيق إسلامية المعرفة وإحداث التغيير في المجتمع تكون عن طريق: الحكم بالإسلام، وتغيير العلوم إسلامياً، ودراسة الغرب من وجهة نظر إسلامية، والاستفادة من الحضارة الغربية ومن تجاربها بعد استبعاد النفس الإلحادي فيها وما له من آثار، وتنقية

العلوم الغربية من الشوائب الإلحادية.

٦- تغيير العلوم إسلامياً يكون - كما يرى أ.د. جعفر إدريس - بتنقيتها من التصورات المادية الإلحادية، وإطراح كل النظريات التي لم يثبتها واقع والتي تخالف حقائق الإسلام، واستبدال الإطار الفلسفي بإطار توحيدي، واعتبار الوحي مصدراً من مصادر الحقيقة، وصياغة العلوم كلها بلغة عربية فصيحة.

٧- الخطة التفصيلية لبداية الانطلاق في مشروع إسلامية المعرفة أو خارطة الطريق لذلك هي: الأخذ بالأسباب التي تجعل من أبنائنا علماء كباراً في مجالات العلوم الطبيعية، وأن نعمل على توطين هذه العلوم في بلادنا، وأن نهتم بالنابعين من أبنائنا وبناتنا ونهئىء لهم الظروف التي تساعد على تكريس جهودهم لما نبغوا فيه من هذه العلوم، وأن يكون هذا الجهد عملاً عربياً لتكون لغة هذه العلوم هي اللغة العربية الفصيحة، ثم عملاً إسلامياً مشتركاً لأننا؛ نسعى أن نتطور بوصفنا أمة مسلمة. ولا بد أن يكون لعلماء العلوم الطبيعية من أبنائنا وبناتنا إمام بالثقافة الإسلامية، وأن يكون للمختصين بالعلوم الإسلامية إمام بالثقافة العلمية الطبيعية؛ حتى يتمكن الفريقان من فهم بعضهم بعضاً، وتشارك الثقافة بين الفريقين. ولا يتم ذلك إلا إذا كان الجهد مشتركاً وليس جهداً مستقلاً في كل قطر لوحده.

٨- الإطار العام الشائع لدى الغرب هو إطار فلسفي لا ديني، معادٍ للدين، وليس مجرد إطار إلحادي فقط، بل إلحادي ومادي أيضاً.

٩- إشكالية الغرب مع الدين أنهم يفترضون أن كل ما يصدق على الدين الذي عرفوه - وهو الدين النصراني - يصدق على الأديان الأخرى.

١٠- الإطار الغربي ليس هو - كما يُصور لنا - السبيل الوحيد للتطور والنهوض. فهناك دول أخرى تطورت من غير هذا الإطار: كالاتحاد السوفيتي، والصين وكوريا الشمالية. بل وقبل ذلك الحضارة الإسلامية التي كانت حضارة العصر حتى القرن السادس عشر الميلادي.

١١- الإسلام هو وحده الدين الذي ليس في ما يقرره في باب العقائد وسائر التشريعات ما يتناقض مع شيء من المبادئ العقلية.

١٢- المبدأ الذي يجمع شتات نظريات الكون الطبيعية والاجتماعية والفردية، هو مبدأ التوحيد، مبدأ الإيمان بالله واحداً لا معبود بحق سواه، والإيمان بأن طريق محمد صلى الله عليه وسلم هو وحده الطريق الموصل إلى الله.

١٣- إسلامية المعرفة لا تعني تغيير الحقائق العلمية، بل هي أن توضع الحقائق كلها الطبيعية والاجتماعية والنفسية في إطار إيماني بدلاً من الإطار المادي الإلحادي الذي توضع فيه الآن.

١٤- ما يعترف به الإطار الإلحادي من حقائق ليس شيئاً خاصاً به أو ناتجاً عنه وحده، وإنما هو أمر مشترك بينه وبين الإطار الإسلامي؛ لأنه ليس في الإطار الإسلامي ما يمنع من إدراك أية حقيقة تُدرك في حيز الإطار الإلحادي. لكن ميزة الإطار الإيماني - وهو إطار العقل الكامل - أنه يساعد على إدراك حقائق ومؤثرات وتفسيرات أخرى لها نتائج نافعة في حياة الناس العلمية والعملية والنفسية لا مجال لها داخل الإطار الإلحادي.

١٥- الدعوة إلى إسلامية العلوم هي دعوة إلى تأكيد الموضوعية، لا إلى التخلي عنها؛ لأنها دعوة إلى أن يكون إطارها الفلسفي نفسه قائماً على حقائق موضوعية.

١٦- أ. د. جعفر إدريس له جهود واضحة ومتنوعة تصب في إسلامية المعرفة، منها: الكتابة والتأليف، وإلقاء المحاضرات، وحضور المؤتمرات والمشاركة فيها، والقراءة للغربيين والاستفادة منهم، ومناقشة النظريات الغربية. وفي كل ذلك تجد أنه يبين توافق الشرع والعقل وعدم تناقضهما، فهو يجمع بين القراءتين: قراءة الوحي، وقراءة الكون.

ثانياً: التوصيات:

١- بعد هذه الجولة التي - فيما يحسب الباحث - تبرز وجهة نظر أ. د. جعفر شيخ إدريس حول إسلامية المعرفة بشيء من التفصيل والتوسع، يمكن للباحثين البناء عليها من خلال المقارنة بينه وبين المتخصصين الآخرين في موضوع إسلامية المعرفة، مثل: إسماعيل الفاروقي، وطه جابر العلواني، وغيرهم. للتوصل إلى أوجه التشابه والاختلاف في المنطلقات والتطبيقات حول إسلامية المعرفة.

المصادر والمراجع

الكتب

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي. (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م). تفسير القرآن العظيم. ط ٢. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- إدريس، جعفر شيخ. (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م). الفيزياء ووجود الخالق. ط ١. الرياض: مجلة البيان.
- إدريس، جعفر شيخ. (١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م). الإسلام لعصرنا. ط ١. الرياض: مجلة البيان.
- إدريس، جعفر شيخ. (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م). الإسلام لعصرنا المجموعة الثانية. ط ١. الرياض: مجلة البيان.
- إدريس، جعفر شيخ. (١٤٣٣هـ). صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث إسلامي. ط ١. الرياض: مجلة البيان.
- إدريس، جعفر شيخ. (١٤٣٧هـ). مناهج التفكير الموصلة للحقائق الشرعية والكونية. ط ١. الرياض: مجلة البيان.
- إدريس، جعفر شيخ. (١٩٩٩م). نظرات في منهج العمل الإسلامي. ط ١. أمريكا الشمالية: التجمع الإسلامي في أمريكا الشمالية.
- إدريس، جعفر شيخ. مناهج العلوم الإنسانية ومشكلاتها. وهي تفرغ لمحاضرة أقيمت في إطار الموسم الثقافي بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في المملكة العربية السعودية.
- البقاعي، يوسف الشيخ محمد. (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م). الشوقيات لأمير الشعراء أحمد شوقي. ط ١. بيروت: دار الكتاب العربي.
- خليل، عماد الدين. (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م). مدخل إلى إسلامية المعرفة. ط ١. دمشق -

بيروت: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع.

الدعجاني، عبدالله بن نافع. (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م). منهج ابن تيمية المعرفي. ط ١. المملكة العربية السعودية - الخبر: مركز تكوين للدراسات والأبحاث.

الدوسري، عبدالرحمن بن محمد. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم. ط ١. الرياض: دار المغني للنشر والتوزيع.

السعدي، عبدالرحمن بن ناصر. (١٤١١هـ/١٩٩٠م). المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي. د. ط. المملكة العربية السعودية - عنيزة: مركز صالح بن صالح الثقافي.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي. (١٣٨٥هـ/١٩٦٦م). تهافت الفلاسفة. ط ٤. مصر-القاهرة: دار المعارف.

الفاروقي، إسماعيل. (١٤٢١هـ/٢٠٠١م). إسلامية المعرفة: المبادئ العامة - خطة العمل - الإنجازات. ط ١. بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.

الرسائل الجامعية

الزهاويل، ضاري بن عثمان. (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م). منهج الشيخ عبدالرحمن الدوسري في مواجهة الماسونية. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، قسم أصول الدين ومقارنة الأديان، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

المجلات والمقالات

وقيع الله، محمد. (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م). مفهوم إسلامية العلوم لدى الشيخ جعفر شيخ إدريس، مجلة الرابطة، العدد (٥٧٠)، مكة المكرمة

المواقع الإلكترونية

إدريس، جعفر شيخ. الاسترجاع ٢٦ مارس ٢٠١٦م من: <http://www.jaafaridris.com>